

جمع الأسرار في منع الأشرار
عن الطعن في الصوفية الأخيار أهل النواجد بالأدكار

جمع الأسرار في منع الأشرار
عن الطعن في الصوفية الأخيار أهل التواجد بالأذكار

تأليف الشيخ عبد الغني النابلسي

تحقيق: سامر سليم السعدي الجباوي

© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى 2025

جمع الأسرار في منع الأضرار

عن الطعن في الصوفية الأخيار أهل النواجد بالأذكار

تأليف الشيخ عبد الغني النابلسي

تحقيق:

سامر سليم السعدي الجبائي

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حظيت من صديق عزيز بصورة مخطوطة نادرة للشيخ عبد الغني النابلسي معنونة بـ "جمع الأسرار في منع الأشرار عن الطعن في الصوفية الأخيار أهل التواجد بالأذكار"، وبعد الاطلاع عليها وجدت في إعادة إصدار الكتاب مرة ثانية فائدة للباحثين ولقراء العربية، علماً أن المخطوطة حُقت من قبل الأستاذة هبة المالح ونشرت في دار نور الصباح بدمشق. وطبعة أخرى نشرت في دار المحبة بدمشق.

وكانت خطة إعادة تحقيق هذا الكتاب وفق النقاط التالية:

- 1- وضع مقدمة تليق بهذا الكتاب والتعريف به.
- 2- تقديم نبذة عن ترجمة المؤلف كما وردت في المراجع والمطابن المختلفة.

3- ضبط النص وفق صورة المخطوطة المعتمدة.

4- تخريج الآيات القرآنية.

وكتاب "جمع الأسرار في منع الأشرار" كتاب تصوفي شهير للمؤلف الصوفي عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، وقد صُنّف في القرن الثاني عشر

الهجري / الثامن عشر الميلادي. ويهدف الكتاب إلى الدفاع عن الصوفية
الحقة ورد الشبهات التي يوجهها لهم المنتقدون .

فالشيخ النابلسي تصدّى بعلمٍ راسخٍ وقلبٍ صادق، لما شاع في عصره
من طعونٍ وتشكيكاتٍ طالت أرباب السلوك، وأساءت إلى مقامهم
ومناهجهم، متذرعةً بظواهر لا تعكس جوهر الطريق ولا حقيقة أهله.
وهو ينطلق في كتابه من رؤية توحيدية ترى في التصوف امتداداً لروح
الشريعة، وليس خروجاً عنها، ويرى في الأولياء ورثةً للأنبياء، لا مدّعين
عليهم.

وهو إذ يبين "الأسرار"، لا يقصد بها الغوامض أو الخوارق، بل يشير
إلى دقائق المعاني، ولطائف التجليات، التي لا تُدرك إلا بذوقٍ صادقٍ
وتجربةٍ روحيةٍ عميقة.

أما "الأشعار" الذين قصدهم الشيخ النابلسي فهم من طعنوا بالصوفية
بغير علم، أو أنكروا بغير فهم، فجاء ردّه عليهم قائماً على النقل والعقل،
وعلى التجربة الصوفية نفسها.

وختاماً أرى أن الكتاب يمثل مرجعاً فكرياً وروحانياً، يكشف عن
عمق أزمة الفهم بين ظاهرية جامدة وبين روحانية حية، ويبرز في الوقت
ذاته براعة النابلسي وتواضعه في الدفاع عن التصوف من داخل المنظومة
الإسلامية. وهو بذلك يُعيد الاعتبار لأهل الصوفية الأخيار، لا بوصفهم

طائفةً منعزلة، بل كقلبٍ نابضٍ في جسد الأمة، يحمل سرَّ المحبَّة، وروح
التزكية، ونور المعرفة.

راجين أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله تعالى

وفوق كل ذي علم عليم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

سامس السعدي

إحياء لترات الطريقة السعدية الجبائية العلية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأعظم وآله الطيبين الطاهرين وصحبه والتابعين أمّا بعد...

نحن بين يدي رسالة قيّمة، للعلامة المحقّق والفقيه الصوفي الكامل الشيخ عبد الغني النابلسي المتوفى بدمشق سنة 1730 / 1143 . وهي : " جمع الأسرار في منع الأشرار من الطعن في الصوفيّة الأخيار أهل التوحيد بالأذكار".

ويجب أن تكون هذه الرسالة موجّهة إلى الخاص والعام من أبناء هذه الأمة المحمّديّة في هذا الزمان، ونرى كيف كانوا يتعاملون مع ما أشكل عليهم في مجتمعاته، وما لم يتفهّموه من علم أو عمل في حياتهم، فقد كانوا يرفعون سؤا لهم واستفسارهم إلى أهل العلم من العلماء العاملين والفقهاء المحقّقين، وبأدب أهل الإسلام، فلم يتسرّعوا ويطلقوا على أبناء الإسلام صفة مُشينة بهم، أو اتّهامهم بباطل أو بدعة أو شرك أو تكفير، لأن هذا ليس من شأن العامة، وليس من شأن أنصاف المتعلمين كذلك، فما بالناس بالأحداث من أهل الأهواء والفكر الهدّام في هذا الزمان هداهم الله تعالى، الذين ذهبوا بعيداً بالتكفير واستباحة حُرّمات المسلمين ممّن خالفهم بالرأي، بإقامة الحدود دون علم، والقتل وقطع الرؤوس وتفجير حلقات طلاب العلم من أبناء الإسلام وحفظه القرآن.

ولكلّ زمان آفاته من مجتمعه، ونعلم أنه لم يسلم العظماء عبر التاريخ من الدّس والتزييف المتعمّد، ومن صوغ العقائد الباطلة ونسبتها إلى رجال الفكر من قبل

هؤلاء الذين ينتهزون الفرصة المناسبة لبث الأحقاد والمكائد والفتن عن طريق الوضع والافتراء والروايات الملفقة، وقد امتلأت من جراء ذلك كتب التفسير بالإسرائيليات، والحديث بوضع الكذابين وإصاقهم بالسنة النبوية ما ليس منها زوراً وبهتاناً، وكتب المغازي والتاريخ بما لا يحصى من الأكاذيب والروايات.

وكان نصيب القوم من أهل التصوف ورجاله القدر الأكبر من ذلك، حيث أدرك المزيّفون والحاقدون ممّن كان لهم مكانتهم عند أرباب السلطان، وممّن رأوا حظوظهم الدنيوية في دينهم، أن السادة الصوفية قد انتزعوا منهم السلطة على العامة، وكسبوا ثقتهم وحبّهم لزهدهم وتعفّفهم عن حطام الدنيا، وقد ساء لهم أن ينظروا إلى مدرسة أهل التصوف بروح الإسلام الفيّاض بروحانيته العالية، ويأشراقه الإنساني بالسلام، والخير، والحبّ، وشوق القلوب . فهم بذلك كانوا يسعون إلى هدم روح الإسلام.

وكتب التاريخ تشهد بما وقع من جراء تلك الفتن المغرضة التي أسفرت عن قتل خيار السادة الصوفية الذين خلّدهم التاريخ رغماً عنهم، ومضى أعداؤهم مع من مضوا.

وقد نظر أولئك الفقهاء أعداء السادة الصوفية إلى ظاهر الأمور التي دخلت إلى مجتمع السادة الصوفية، وممارسات العامة بعفويتهم وبساطتهم، وإلى الدخلاء على الصوفية، وإلى ما ورد في كتبهم ومؤلفاتهم من دسّ وافتراء لا يمت إلى التصوف بصلة، لا من قريب ولا من بعيد، ولا إلى العلوم الإنسانية أساساً، فجردوا أفلامهم ووجّهوا اتهامهم، وكانت ذريعتهم واهية للطعن

والشتم والتشنيع والاستخفاف والتكفير وتوجيه أقبح العبارات، وبغير ضابط أخلاقي ولا بمعايير إنسانية، وكأن أحدهم قد وقف على أبواب الجنة وترك لغيره من المسلمين المؤمنين اللظى والنار، فأين هو من الخطاب الإلهي والسنة النبوية، ولكن لو أراد أحدهم أن يكون نزيهاً في النقل والحكم كان عليه أن يُمعن النظر ويتحقق ويتثبت فيما وصل إليه من نصوص هل هي صحيحة أم مدسوس فيها، ويرى كلام أصحاب هذا العلم فيه.

ولكن معظمهم لا يخشون الله تعالى ولا يقيمون للقارئ وزناً.

وقد نرى هجوماً ونرى دفاعاً وهذا شأنه لا ينتهي، وإزاء هذا الاختلاف بين بعض الفقهاء والسادة الصوفية في الطعن عليهم والرد عنهم، فقد أنصفهم بعض الفقهاء في الرد عنهم بعد البحث والتحقق، ومقابلة النصوص الصحيحة والثابتة وعرضها على الكتاب والسنة وأقوال الأئمة.

فأفردوا لها رسائل خاصة، وفصولاً مهمة في كتبهم الفقهية وفتاويهم المجموعة، والمكتبة الإسلامية غنية بهذا التراث المتناقل منذ قرون عديدة.

وهذه الرسالة التي أصفها بالرسالة القيّمة هي من بعض الرسائل في الرد والدفاع عن السادة الصوفية ومنابعه لرفع الظلم عنهم وإنصافهم بعلم ومعرفة، وما أكثر الرسائل والكتب والمصنفات في هذا الباب.

ولم يسلم السادة السعدية من سهام الاعتراض الموجهة إلى ما يأتون به في حلقات أذكارهم من تواجد واستغراق حال الذكر.

وقد ورد في هذا الباب أسئلة وأجوبة ضمن بعض كتب الفتاوى، وبعض الرسائل الخاصة انتصاراً للسادة السعدية . منها:

(النصرة الإلهية للطائفة السعدية) للشيخ زين العابدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن البكري المتوفى سنة 1545 / 952 .

و (النصرة المولوية للعصابة السعدية) للشيخ عبد الباسط أبي بكر الحموي الحنفي المعروف بابن الربيع المتوفى سنة 1579 / 987 .

و(النفحة الربانية في الطريقة السعدية) للشيخ العلامة أبي الطيب الغزي الدمشقي المتوفى سنة 1635 / 1045 .

و (الرسالة المحمدية في الرد عن السادة السعدية) للشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ زين الدين عمر السعدي الحلبي المتوفى في أواخر القرن العاشر الهجري . وغيرها من فتاوى مجموعة منها:

(جمع الأسرار في منع الأشرار من الطعن في الصوفية الأخيار أهل التواجد بالأذكار) للعلامة المحقق والفقير الصوفي الكامل الشيخ عبد الغني النابلسي .

وهذه الرسالة التي بين أيدينا هو سؤال وجهه بعض أبناء زمانه إلى الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالى، فبدأ بذكر أقوال الفقهاء المعتمدة في جواز الجهر بالذكر ... وأتى بالأحاديث الصحيحة والنصوص الثابتة في ذلك، ثم الفتاوى الشرعية لكبار علماء هذه الأمة .

وأدعو الجميع لقراءة هذه الرسالة والاستفادة من مضمونها، والنظر في منهجية السادة العلماء الأجلاء في البحث والتحقيق واستنباط الدليل الشرعي بالبراهين العقلية الثابتة بالنصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، وكما ذهب إلى ذلك جمهور المسلمين، وأكابر علماء الموحدين وأقوال الأئمة.

واليوم فقد توجه السيد سامر السعدي الجبّاي للبحث في خزائن المخطوطات، حيث وقع نظره على هذه الرسالة الموسومة بـ "جمع الأسرار في منع الأشرار من الطعن في الصوفيّة الأختيار أهل التواجد بالأذكار". وهي في الرّد والدفاع عن فقراء الطريقة السعدية الجبّاية العلية. طريقة أجداده رضي الله عنهم. فجردّ ساعد الاجتهاد وقام بتحقيقها لنشرها بين أهل العلم والمحبين من أهل الطريق، إحياءً لتراث هذه الطريقة المباركة، فبذل بذلك مجهوده، فله خالص الشكر على ما قام به.

محمد غازي حسين آغا

سبط العارف بالله تعالى

الشيخ سعد الدين السعدي الجبّاي

مرشد الطريقة السعدية بحمص

سورية . حمص . بستان الديوان شارع الجبّاي.

الخميس 2025 / 12 / 10

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل أوليائه مصابيح هدى، وأهل ذكرٍ وحضور، وأقام بهم معالم الشريعة والحقيقة، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ إمام العارفين، وقدوة السالكين، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فإن علم التصوف السنيّ الصحيح لم يكن يوماً خارجاً عن دائرة الكتاب والسنة، ولا شاذاً عن إجماع الأمة وأقوال أئمتها، بل كان على الدوام روح الشريعة، ولبّها، وسرّها الباطن الذي يزكّي النفوس، ويهدّب الأخلاق، ويصل العبد بربه على بصيرةٍ واتباع. غير أنّه ما زال - ولا سيما في عصور الفتن - عُرضةً للطعن والتشويه، وسوء الفهم، حتى تصدّى له قومٌ بغير علم، فبدّعوا أهله، بل جاوز بعضهم الحدّ إلى التكفير، نعوذ بالله من الخذلان.

ومن هنا تبرز القيمة العلمية والزمانية لهذه الرسالة النفيسة:

«جمع الأسرار في منع الأشرار من الطعن في الصوفية الأخيار أهل التواجد بالأذكار»

للإمام العلامة، المحقّق، الفقيه، الصوفي الكامل الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي رحمه الله تعالى، أحد أعلام الشام، ومن كبار علماء القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، ممن جمعوا بين التحقيق الفقهي، والذوق الصوفي، والاستدلال الشرعي الرصين.

فهذه الرسالة في حقيقتها ليست مجرد دفاعٍ وجداني عن أهل التصوف، بل هي أجوبة فقهية علمية على أسئلة وإشكالات أثرت حول أحوال الصوفية، وخصوصاً مسألة التواجد بالأذكار، وقد صاغها الإمام النابلسي صياغة العالم المحقق، مستنداً إلى نصوص الكتاب العزيز، والسنة النبوية المطهرة، وأقوال الأئمة المعتمدين في المذاهب الأربعة، مع حسن ترتيب، ودقة استنباط، وقوة في البرهان، تجمع بين النقل الصحيح، والدليل العقلي المنضبط.

وقد شرفني الله بأن عرضت على الأخ السيد الشريف سامر بن السيد الشريف سليم السعدي الجبائي الإدريسي الحسني - محقق هذا الكتاب - هذا المخطوط النفيس، بما اشتمل عليه من رسائل خاصة بالسادة السعدية، منها:

«النصرة الإلهية للطائفة السعدية»

و«النصرة المولوية للعصابة السعدية»

و«النفحة الربانية في الطريقة السعدية»

وغيرها من النصوص التي تُظهر مكانة هذه الطريقة المباركة، وامتدادها العلمي والروحي في تراث أهل السنة والجماعة.

وقد أعجب المحقق الكريم الأستاذ الشريف سامر السعدي حفظه الله تعالى بهذا الكنز العلمي، فنهض - جزاه الله خير الجزاء - لتحقيقه، وبذل جهده في إخراجه للناس، خدمةً للعلم، ونصرةً للحق، وإحياءً لتراثٍ أصيل نحن اليوم أحوج ما نكون إليه، في زمنٍ اشتدت فيه الحملة على التصوف وأهله، واختلط

فيه الغث بالسمين، فصار لزاماً على أهل العلم أن يبينوا، وأن يُظهروا الحقيقة،
وأن يردّوا الأمور إلى أصولها المعتبرة.

فجزى الله تعالى المحقق خير الجزاء، وبارك في جهوده، ونفع بهذا العمل
طلاب العلم، ومحبي السلوك، وكلّ من قصد الحق متجرداً عن الهوى، وجعل
هذا الكتاب لبنةً في صرح الدفاع عن التصوف السني، القائم على الكتاب
والسنة، والسير على منهاج السلف الصالح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

المهندس زاهر محمد عطايا السعدي الإدريسي الحسني



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

يؤمن الصوفي أن قلبه قطعة مُضغعة تتكوّن لحظة بلحظة وتتجدد فيها الحياة بالله، وعلى قدر صفاء القلب تصفو الحياة، وعلى قدر طهارة القلب تُقبل صلاته وتتأكد صلاته، لا ينشغل الصوفي بالصورة الظاهرة، وإن كان الظاهر يتجمّل من خلال الباطن، فلا ينشغل كثيراً بالطاهر من الماء أو المكان؛ فالعالم كلّ منه وبه طاهر، يعرف أنواع الماء السبعة لكنه غير مشغول بنقل أحكام الطهارة البرّانية وصحيح نُطق القرآن وكيفية المعاملات كما وردت في الكتاب أو السنّة فحسب، وهُمّة الأكبر أن يجدّ في طلب الحقيقة ويجدها، ويسهم فيها، ويكون جزءاً منها، ويكون قلباً وقالباً ترجمة لها.

يُسقط الصوفي التكليف، ليس على نهج أهل الصورة كما يُشيعون عنه، ولكنه يفعل كلّ شيء بحبّ وعشق دائم؛ فهو يؤمن بأنه لا كُلفة في عبادة العباد المحبّين، وهم خاصّة الله ونُجباؤه، فإذا كان العوام من أمثالنا يجدون كُلفة ومشقة في أداء العبادات، فيقومون للصلاة بنصبٍ، ويصيبهم الملل إن طالت، وكذا الصوم وغيره من العبادات، فإن من ذاقوا حلاوة القُرب والاتصال لا كُلفة في مناجاتهم لأحبّ الأحاب، فكلّ عمل يؤدّونه له "لذّة" و"مُتعة" لا يشعر بها إلا من أداها بقلب يشتعل بعشق الله. أن تكون صوفياً؛ أي ألا تريد من الله سوى الله.

أن تكون صوفياً، فأنت كافرٌ بكلّ الأصنام، لا الأصنام التي حطّمها إبراهيم قديماً أو مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، بل الأصنام التي تتجدد كلّ يوم

وُتُصَّبَ فِي الشَّوَارِعِ وَالْمِيَادِينِ وَالْمَسَاجِدِ وَدُورِ الْعِلْمِ وَفِي أَرْوَقَةِ الْإِعْلَامِ الشَّاسِعَةِ. لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَنْخَدِعَ بِالصُّورَةِ أَوْ الْكَلَامِ، فَأَنْتَ لَسْتَ عَبْدًا لغيرِ اللَّهِ، وَمَا الصُّورَةُ إِلَّا وَهْمٌ وَخِيَالٌ، وَلَوْ كَانَتْ لِبَشَرٍ - أَفْضَلُ، فَالْشَيْخِ أَوْ الدَّالِّ عَلَى الطَّرِيقِ بِمَثَابَةِ الْقَنْطَرَةِ تَعْبُرُ بِهَا ثُمَّ تَرَى مِنْ بَعْدِهَا مَا لَمْ يَرَهُ.

لَتَكُونَ صُوفِيًّا لَا تَنْخَدِعُ بِأَحَدٍ، وَقَدِيمًا قَالَ أَحَدُهُمْ: فِي وَسْطِ جَمِيعِ الدَّرَاوِيشِ يُخْتَفَى وَاحِدٌ صَادِقٌ فَقِيرٌ، فَابْحَثْ عَنْهُ جَيِّدًا وَاسْتَجِدْهُ.

يُؤْمِنُ الصُّوفِيُّ أَنَّ الشَّيْطَانَ الَّذِي فِي دَاخِلِهِ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ التَّأْدِيبَ وَالتَّهْذِيبَ، وَلَا يَلْقَى بِتَبَعَةِ أَفْعَالِهِ عَلَى الشَّيْطَانِ الْخَفِيِّ، الَّذِي وَرَدَ فِي الذِّكْرِ أَنَّ عِلَاجَهُ الْإِسْتِعَاذَةَ، وَبِالْإِسْتِعَاذَةِ يَنْتَهِي أَمْرُهُ. إِنَّ شَيْطَانَ النَّفْسِ هُوَ الْكُفَّةُ الْآخَرَى لِلْقَرِينِ السَّمَاوِيِّ الَّذِي يَصَاحِبُ الصُّوفِيَّ فِي رِحَالَتِ تَحْقِيقِهِ، قَالَ أَحَدُهُمْ عَنْ هَذَا الشَّيْطَانِ الَّذِي لَا يَكَلُّ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالْعَمَلِ: فِي دَاخِلِي شَيْطَانٌ، لَا يَخْفَى عَلَيَّ... وَقَطَعَ رَأْسَهُ لَيْسَ أَمْرًا سَهْلًا... لَقَتَهُ الْإِيمَانُ أَلْفَ مَرَّةٍ... وَلَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِسْلَامِ. هَذَا الشَّيْطَانُ هُوَ أَنَا مَا دَمْتُ حَيًّا، فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَخْطِئُ وَأَتُوبُ... ثُمَّ أَخْطِئُ وَأَهْذِبُ نَفْسِي... ثُمَّ أَجَاهِدُ نَفْسِي لَيْلَ نَهَارٍ حَتَّى الْمَمَاتِ، حَتَّى أَتَخَلَّصَ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ دَنِيٍّ وَأَتَحَلَّى مَا اسْتَطَعْتُ بِالْخُلُقِ السَّنِيِّ... لَيْسَ هُنَاكَ لَنْ أَعُودَ فَلَا يَضْمَنُ أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَهَا. وَفِي صَيْغِ اسْتِغْفَارِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ مَا رُوي أَنَّهُ سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ يَقُولُ: وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ... وَمَنْ يَسْتَطِيعُ مَا اسْتَطَاعَ.

أَنْ تَكُونَ صُوفِيًّا؛ يَعْنِي أَنَّكَ تَلْتَمِسُ مِنَ الْحَيَاةِ مَا فِيهِ نَفْعٌ لِلْعِبَادَةِ وَتَقَدِّمُهُ عَلَى مَنَافِعِكَ حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ قُرْبَةً لِلَّهِ وَأَدَاءَ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ الدِّينِ .

روى أحدهم عن بايزيد البسطامي قصة تقول: كانت مع البسطامي مجموعة من الدراهم وأراد أن يحجّ، وفي طريقه للحج وجد عجوزاً صاحب عيال فقير، فسأله الفقير عن وجهته فأخبره أنه ذاهب إلى الحج حيث الكعبة بيت الله يطوف كما المناسك، فرجاه أن يطوف به ويعطيه المال فهو أحوج إليه هو وعياله، والبسطامي أحوج إن كان عبداً لله أن يطوف ببيت الله الحيّ "قلوب العباد عياله"، وقد فعل البسطامي وانصرف عن الحج .

وقد انصرف أهل الصورة عن المعنى الكامن في فعل البسطامي وترجموه إلى إهمال الفرائض والاستخفاف بالدين، ونسوا ما هو أولى من ذلك، أن العاقل لا ينشغل بفعل غيره مع ربه، وأولى به أن ينشغل بالله.

ولما شاعت الطعون والتشكيكات التي طالت الصوفية تصدى عدد من العلماء والشيوخ الأجلاء للدفاع عنها ورد تلك الشبهات والتشككات. فكان الشيخ عبد الغني النابلسي واحداً من هؤلاء العلماء والشيوخ الذين دافعوا بكلّ قوة ومنهجية عن الصوفية وشيوخها وأتباعها. وذلك عبر كتابه " جمع الأسرار في منع الأشرار عن الطعن في الصوفية الأخيار أهل التواجد بالأذكار "

والذي قام بتحقيقه وفق منهج البحث العلمي الأستاذ سامر السعدي الجبائي.

وفقه الله لخدمة التراث العربي الإسلامي والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء

الطريق

الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني

أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة بغداد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

أجمعين

أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب " جمع الأسرار في منع الأشرار عن الطعن في الصوفية الأخيار أهل التواجد بالأذكار " للعارف بالله سيدي عبد الغني النابلسي رضي الله عنه، تحقيق السيد الفاضل سامر سليم السعدي الجباوي حفظه الله ورعاه، فوجدته كتاباً مفيداً رائعاً.

في هذا الكتاب أدلة مقنعة لمن يريد الحق والصواب. الشيخ العارف بالله سيدي عبد الغني النابلسي يذكر في هذا الكتاب أقوال الفقهاء، ويوضح أدلة الصوفية في جواز الجهر بالذكر، مبيناً بالتفصيل الحجج الشرعية والبراهين القطعية، وأقوال العلماء والعارفين بالله التي من سمعها دخل اليقين إلى قلبه وعقله.

وجزى الله خيراً السيد الفاضل سامر سليم السعدي الجباوي الذي خرّج الأحاديث، وحقق الكتاب.

أسأل الله عزّ وجل أن يكرمه بالمزيد وأن ينفع به.

يوم الجمعة 26 / 12 / 2025 م

6 / رجب 1447 هـ

ترجمة المؤلف الشيخ عبد الغني النابلسي^(١):

الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم المعروف كأسلافه بالنابلسي الحنفي الدمشقي النقشبندي القادري. أستاذ الأساتذة وجهذ الجهابذة الولي العارف ينبوع العوارف والمعارف الإمام الوحيد الهام الفريد العالم العلامة الحجة الفهامة البحر الكبير الخبر، الشهير شيخ الإسلام صدر الأئمة الأعلام صاحب المصنفات التي اشتهرت شرقاً وغرباً وتداولها الناس عجباً وعرباً، ذو الأخلاق الرضية والأوصاف السنية قطب الأقطاب الذي لم تنجب بمثله الأحقاب العارف بربه والفائز بقربه وحبّه ذو الكرامات الظاهرة والمكاشفات الباهرة

هيهات لا يأتي الزمان بمثله ... إن الزمان بمثله لبخيل

وعلى كلّ حال فهو الذي لا تستقصي فضائله بعبارة ولا تحصر صفاته وفواضله بإشارة والمطول في مدح جنابه مختصر جداً والمكثّر في نعت صفاته مقل ولو بلغ نهاية وحدّاً .

ولد بدمشق رضي الله عنه في خامس ذي الحجة سنة خمسين وألف، وكان والده سافر إلى الروم. توفي والده في سنة اثنين وستين وألف فنشأ يتيماً موقفاً واشتغل بقراءة العلم، فقرأ الفقه وأصوله على الشيخ أحمد القلعي الحنفي، والنحو والمعاني والتبيان والصرف على الشيخ محمود الكردي نزيل دمشق،

(1) الترجمة من كتاب سلك الدرر، ومعجم المؤلفين لتصرف

والحديث ومصطلحه على الشيخ عبد الباقي الحنيلي، وأخذ التفسير بالمدرسة
السليمية وفي شرح الدر بالجامع الأموي ودخل في عموم إجازته، وحضر
دروس النجم الغزي ودخل في عموم إجازته، وقرأ أيضاً وأخذ على الشيخ
محمد بن أحمد الأسطواني والشيخ إبراهيم بن منصور القتال والشيخ عبد
القادر بن مصطفى الصفوري الشافعي والسيد محمد بن كمال الدين الحسيني
الحسني بن حمزة نقيب الأشراف بدمشق والشيخ محمد العيшаوي والشيخ
حسين بن اسكندر الرومي نزيل المدرسة الكلاسة بدمشق وشارح التنوير
وغيره، والشيخ كمال الدين العرضي الحلبي الأصل الدمشقي والشيخ محمد
بن بركات الكوافي الحمصي ثم الدمشقي وغيرهم، وأجاز له من مصر الشيخ
علي الشيراملسي، وأخذ طريق القادرية عن الشيخ السيد عبد الرزاق الحموي
الكيلائي، وأخذ طريق النقشبندية عن الشيخ سعيد البلخي، وابتدأ في قراءة
الدروس وإلقائها والتصنيف لما بلغ عشرين عاماً وأدمن المطالعة في كتب
الشيخ محي الدين ابن العربي قدس الله سره وكتب السادة الصوفية كابن
سبعين والعييف التلمساني فعادت عليه بركة أنفاسهم فأثاه الفتح اللدني فنظم
بديعية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، فاستبعد بعض المنكرين أن تكون
من نظمه فاقترح عليه أن يشرحها فشرحها في مدة شهر شرحاً لطيفاً في مجلد،
ثم نظم بديعية أخرى والتزم فيها تسمية النوع وشرع في إلقاء الدروس بالجامع
الأموي فاقراً بكرة لنهر في عدة فنون وبعد العصر في الجامع الصغير، ثم

الأربعين النووية ثم الأذكار النووية وغيرها وباع في آخر عمره سنة وفاته
جميع العباد بالملاّ العام بين الأنام.

وصدر له العديد من تصانيفه والمؤلفات منها "جمع الأسرار في منع الأشرار
عن الطعن في الصوفية الأخيار" الذي نحن بصدد تحقيقه.

مرض ﷺ في السادس عشر من شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف
وانتقل بالوفاة عصر يوم الأحد الرابع والعشرين من الشهر المذكور وجهاز
يوم الإثنين الخامس والعشرين من الشهر، وصلي عليه في داره ودفن بالقبة
التي أنشأها في أواخر سنة ست وعشرين ومائة وألف.

صنف ابن سبته صاحبنا العالم كمال الدين محمد الغزي العامري في ترجمته
كتاباً مستقلاً سماه الورد القدسي والوارد الأنسي- في ترجمة العارف عبد الغني
الناقلي.

مقدمة عن الطرق الصوفية:

نشأ التصوف في القرن الثالث الهجري وما بعده. وترجع أسباب هذه النشأة إلى عوامل روحية واجتماعية وفكرية متعددة، مثل التأثير ببعض الأفكار الفلسفية والظروف السياسية والاجتماعية التي شهدتها المجتمعات الإسلامية، فكانت في البداية كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، ثم تطوّرت بعد ذلك حتى صارت طرقاً مميّزة متنوعة معروفة باسم الطرق الصوفية .

الطرق الصوفية متعددة الأنواع، منها الطرق الكبرى واسعة الانتشار مثل: الشاذلية، والنقشبندية، والقادرية، والرفاعية، والبدويّة، بالإضافة إلى طرق أخرى منتشرة في مناطق مختلفة.

ومن هذه الطرق الطريقة السعدية وهي طريقة صوفية عرفت في بلاد الشام منذ مطلع القرن السادس الهجري وغيرها من البلدان الإسلامية، وهي تنسب للقطب العارف بالله الشيخ سعد الدين الجباوي الشيباني الحسني قدس الله سره.

واختصت الطريقة السعدية بالدعوة إلى الله، وتميز علمائها ورجالها بالصلاح والجهاد ضد أعداء الأمة، وبسلوكهم طريق الحق وتوجيه العامة إلى الطريق الصحيح، وتهذيب نفوسهم ومعالجتها وترقيتها لتصل إلى طريق المعرفة بالله تعالى.

ولما كان مفهوم الطريق الصحيح هو ترويض الشيخ المربي مريديه على تطبيق الشريعة السمحة، فقد استغل أعداد من المتصوفة المرتزقة الطريق

فأفسدوا سمعة الطريق الصحيح في وكانوا سبباً في النفرة منه. كما حاول كثير من المتحاملين والحاسدين والحاقدين النيل من السادة الصوفية فبثوا أفكاراً وأحداثاً وأكاذيب ألحقوها بأقطاب هذه الطريقة وهم منها براء.

وللسادة السعدية أوقات ومواسم معتادة يقيمون فيها حلقات الأذكار، ويعقدون بها مجالس الأنس بالله تعالى بما يليق بصفاء أحوالهم، وكوامن قلوبهم، ومواريث سلوكهم، وصدق مقاصدهم، فيستأنسون ويتواجدون ويعربون عما في نفوسهم وقلوبهم بما يوجب عليهم العلم والمعرفة لإدراك الواردات والمشاهد الإلهية.

وللسادة السعدية الكثير من المنظومات والموشحات والأدوار يرددونها في حلقات أذكارهم، ومجالس الأنس بالله تعالى ...

هذا ولم يسلم التصوف ورجاله من الدس والتزييف المتعمد والهدام للفكر الإنساني، ومن تحريف الكلام عن مواضعه في كتب السادة الصوفية فهجموا على الإسلام عن طريق التصوف.

وقد نظر أعداء التصوف إلى ظاهر الأمور التي دخلت إلى مجتمع السادة الصوفية وأهواء العامة ببساطتها وسذاجتها، وإلى الدخلاء على الصوفية، وإلى ما ورد في كتبهم ومؤلفاتهم من دسّ وافتراء لا يمت إلى التصوف بصلة، فجردوا أقلامهم ووجهوا اتهامهم، وكانت ذريعتهم واهية للطعن والشتم والاستخفاف والتكفير وتوجيه أقبح العبارات ...

ما دفع عدد من العلماء والفقهاء للدفاع عن التصوف على اعتباره طريق إلى الله تعالى وهو سير وسلوك إلى الله بمنهاج وشرعية بدايتها الدخول والتحقق

بالمقامات والأحوال والآداب والأخلاق ونهايتها المعرفة بالله ومن صحت
بدايته صحت نهايته والنهايات ترجع إلى البدايات.

من هؤلاء السادة العلماء الشيخ عبد الغني النابلسي الذي ألف عدداً من
التصانيف في الصوفية من أبرزها كتاب "جمع الأسرار في منع الأشرار عن
الطعن في الصوفية الأخيار" وهذه الرسالة تجمع الردود على الأسئلة التي
وجهت إليه من بعض مشايخ الصوفية في الذكر والتواجد والدوران...

يبدأ النابلسي رحمه الله في ذكر أقوال الفقهاء المعتمدة في جواز الجهر
بالذكر... وأتى بالأحاديث الصحيحة والنصوص الثابتة في ذلك، ثم الفتاوى
الشرعية عن ابن حجر الشافعي في حلق الذكر وقصة المولد النبوي الشريف
ﷺ... ليصل إلى عرض الحجج الشرعية والبراهين الدامغة، وأقوال العلماء
والفقهاء والعارفين بالله التي أسكتت تلك الأفواه وفضحت كذبها وافتراءها.

مؤسس الطريقة السعدية الجبأوية الشيبية العلية في بلاد الشام
الشيخ سعد الدين بن الشيخ يونس الحسيني الشيبى المكي قدس الله سره: (1)

ولد الشيخ في مكة المكرمة من والدين شريفين عريقين في النسب والعلم
خلفاً عن سلف، وذكر في مخطوط نسبه الشريف أن ولادته سنة 460/
1068. ويضيف إلى ذلك الشيخ على الخضري في كتابه "المجموعة السنوية في
الطريقة السعدية" أنه ولد في غرة رجب لهذا العام.

وتوفي قدس الله سره في جبا الشام يوم الخميس التاسع والعشرين من شهر
ذي الحجة سنة 575/1180. ودفن في جبا الشام في رباطه الشهير.

وهناك روايات أخرى في تاريخ وفاته.

الصوفي الكبير الشيخ سعد الدين الجبأوي قدس الله سره ابن السيد الشيخ
يونس الحسيني الشيبى المكي قدس الله سره هو علم من أعلام السادة العلوية،
والعترة الطاهرة النبوية، وهو من أجلّ البيوت الملكية شرفاً ونسباً وفضلاً،
وقد جمع الله في هذا البيت شروط الرياسة والعلم والدين والشرف، وقد
تقلدت هذه الأسرة من شرف النسب والسيادة والرسوخ في العلم والمعارف
أوائل وأواخر، وهذا البيت العامر الذي نشأ فيه الشيخ سعد الدين لم يفته في
عصر - مع تباين الأقدار - شرف العلم والمعرفة، وحسن الاقتداء، والاهتداء
مع تمام حفظهم لحرمة هذه المنزلة الرفيعة خلفاً عن سلف. وفي منبتهم الطيب
الطاهر يقول الفرزدق:

(1) الطريقة السعدية مجلد 1 ص 191- وما بعدها بتصريف

مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ... فِي كُلِّ فَرَضٍ وَخُتُومٍ بِهِ الْكَلِمُ
إِنْ عَدَّ أَهْلَ التَّقَى كَانُوا أُمَّتَهُمْ... أَوْ قِيلَ: مَنْ حَايَرَ أَهْلَ الْأَرْضِ قِيلَ: هُمْ

وقد توارث هذا البيت شرف الانتساب إلى النبي الكريم بالآباء والأمهات،
ونال مزايا هذا الشرف الرفيع الأبناء والأحفاد فيما بعد، وهذا ثابت وواضح
في حلقات أنساب السادة الأشراف السعدية المحفوظة في عهدة بعض أحفاد
هذه الأسرة الكريمة.

أما نسب القطب الشيخ سعد الدين الجباوي قدس الله سره من جهة
والدته، فهي السيدة الشريفة عائشة بنت السيد أيوب بن السيد عبد المحسن
بن السيد يحيى بن السيد ثابت الذي ينتهي نسبه إلى السيد موسى الرضي الثاني
ابن السيد إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق
ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام السبط الشهيد
أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وقد جمع الله بالشيخ سعد الدين الجباوي قدس الله سره آية الشرف
بالانتساب أباً وأماً إلى المطهرة البتول السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في
ولديها السبطين الشهيدين أبي محمد الحسن، وأبي عبد الله الحسين عليهما
السلام، ابني أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

أبناء الشيخ سعد الدين الجبائي قدس الله سره

ورد في نسب السادة السعدية المنسوخ في 27 رجب سنة 990 هجرية عن أصله المحفوظ في الزاوية السعدية في حي الميدان، أن الشيخ سعد الدين أعقب:

- السيد الشيخ شمس الدين محمد الأنوار دفين قبة والده إلى القبلة. والسيد الشيخ يونس نزيل مصر ودفن باب النصر. والسيد الشيخ علي الأكحل دفين قبه داخل رباط ومسجد والده في جبا. والسيد الشيخ إبراهيم أبا الوفا دفين قبة والده إلى القبلة بجانب أخيه الشيخ شمس الدين محمد الأنوار. والسيد الشيخ فخر الدين أحمد. والسيد الشيخ برهان الدين عثمان، والسيد الشيخ إسماعيل، والسيد الشيخ عبد الله الجنيد، والسيد الشيخ جلال الدين أحمد المستعجل، والسيدة عائشة، والسيدة أم المكارم فاطمة، والسيدة أم الفضل علما، والسيدة أم الخير رابعة. أما والدتهم فهي السيدة فاطمة بنت السيد أحمد ابن السيد حسن نور الدين الذي ينتهي نسبه إلى الإمام علي الرضي ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين الإمام السبط الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام ومرقدها في قبة الشيخ قدس الله سره إلى القبلة. ولهم ذرية طيبة ومباركة في بلاد الشام والعراق وتركيا. كلهم على حال حسن وسيرة مرضية.

حياته - علمه - معارفه

امتدت حياة الشيخ سعد الدين قدس الله سره بين القرنين الخامس والسادس، القرنين اللذين شهدا أخطر المراحل التاريخية التي مرت على هذه الأمة من ضعف وتسلط وحروب وغزو واحتلال للأراضي المقدسة، وأزمات متداخلة وفتن وخلاف بين المذاهب الإسلامية . وإننا ننظر إلى الشيخ سعد الدين قدس الله سره على أنه من السادة الأشراف الذين كانوا يتمتعون باحترام زائد بين طبقات المجتمع جميعها وبين المذاهب الإسلامية كافة، وعلى وجه الخصوص في بلاد الشام .

وإضافة إلى ذلك فقد كان الشيخ سعد الدين قدس الله سره عالماً كبيراً، وعلماً من أعلام التصوف في زمانه، وكان السادة الصوفية يتمتعون بنفوذ بالغ الأهمية وعلى المستويات كافة.

واختار الشيخ سعد الدين قدس الله سره مكاناً له في المجتمع الإسلامي ليحقق فيه كمال شخصيته في مجال العلم والمعرفة، بما يلائم مؤهلاته، ومقوماته وطموحاته، وتطلعاته الواسعة. ويمكن لنا أن نقسم حياته إلى مرحلتين أساسيتين :

المرحلة الأولى :

كانت هذه المرحلة من حياته في مكة المكرمة، وهي مرحلة التربية والإعداد، وتلقى علومه ومعارفه في الحرم المكي، وضمن أرواقته بين علماء وأعلام كبار، من مقيمين ومحاورين وزائرين، نشأ فيها الشيخ سعد الدين قدس الله سره وتحت رعاية والديه، فقد ذكر عنه أنه كان ذكياً موهوباً جميل الصورة، ندي

الصوت، مولعاً بالفروسية وركوب الخيل والكر والفر والرماية حتى لقب في بدايته بفارس مكة المكرمة .

ويذكر عنه قدس الله سره أنه كان لطيف الذات، جميل الصفات، أبيض اللون، معتدل القامة، واسع العينين جهوري الصوت يستحي الناظر ينظره لمهابته وجلالة قدره.

وكان أول اهتمام والده به بأن وجهه إلى حفظ القرآن الكريم فانكب عليه ونهل منه حفظاً ومعرفة واستمداداً من معانيه، ويذكر أنه حفظ القرآن الكريم وهو في السابعة من عمره . ثم توجه إلى طلب العلوم الشرعية في مجالس والده، وحلقات السادة العلماء الأعلام في الحرم المكي، وما أكثرها في ذلك الحين ! فحضر التفسير والحديث، والفقه في مذهب الإمام الشافعي، والتوحيد، والتصوف، وأمعن النظر في العلوم المروية كافة من معقول ومنقول، ولم يترك والده في الرجوع إليه، وحل دقائق المسائل عليه، المنقطع في الحرم المكي للعلم، والتدريس، والإشراف على أمور الحرم، والكعبة المشرفة باعتباره سبط السادة الحجبين الشيبين، من بني عبد الدار الذين اشتهر نسبه إليهم فيما بعد لشدة ملاذه بجده لأمه وأخواله الذين توارثوا العلم، والمجد، وسدنة الكعبة المشرفة خلفاً عن سلف، وهذا كان له أثره في تكوين شخصيته منذ طفولته .

ويذكر أنه ما رآه أحد من أعيان هذه الأمة إلا وتوسم فيه الرفعة، والسيادة، والنجابة، والوراثة المحمدية، في هذه الأمة، وأنه سيكون واسطة العقد المحمدي في زمانه، وأن فتوحه سيكون في بلاد الشام .

وفي هذه المرحلة من حياته، وهو في طور التلقي كان له عدة سياحات طويلة، كان أولها إلى اليمن ونواحيها، ثم إلى مصر وبلاد المغرب العربي، ثم إلى بلاد الشام وبيت المقدس، ثم إلى العراق وإلى ما انتهى إليه الأمر في هذه الرحلة . وكان الغرض من رحلاته هذه الزيادة في طلب العلم، وزيارة العلماء الأعلام والتلقي والأخذ عنهم، وزيارة مراقد آل بيت النبوة الأطهار والأولياء والصالحين. وكان قدس الله سره طوال رحلاته كاتباً ومدوناً وجامعاً، وقد جمعها ورتبها فيما بعد ولده الشيخ شمس الدين محمد الأنوار قدس الله سره في كتابين، الأول خُصص لرحلاته، والثاني خُصص لمرويّاته عن علماء وأعلام هذه الأمة ممن لقيهم، وأخذ عنهم هنا وهناك في مُعْجَم وثبت .

المرحلة الثانية من حياة الشيخ سعد الدين الجبّاي قدس الله سره :

تبدأ هذه المرحلة من حياته عند توجهه من مكة المكرمة إلى بلاد الشام، وكان في بداية طور الإلقاء في أروقة الحرم المكي، وذلك في حياة والده الشيخ يونس، وقد توجه الشيخ سعد الدين قدس الله سره إلى بلاد الشام برفقه إخوته، الشيخ مؤيد الدين شيبان، والشيخ عبد الله مزيد، والشيخ عبد الله يونس الأصغر، والشيخ محمد سعيد، والشيخ أبي الهلال محمد، وجماعة من فرسان مكة المكرمة الذين ساءهم ما بلغهم من ضعف الدولة الإسلامية والغزو الصليبي الذي كان يهدد بلاد الإسلام وقصده لبيت المقدس والمسجد الأقصى .

وكان يتوافد إلى دمشق الشام جماعات من المتطوعين ليقوموا بواجبهم في الدفاع عن بلاد الإسلام .

وهذه المرحلة من حياة الشيخ سعد الدين قدس الله سره، هي المرحلة الحافلة في حياته، فقد بدأ في إعداد المريدين وتربيتهم وتدريبهم على الفروسية وفنون القتال، وإثارة روح الجهاد بين المسلمين، وكان للشيخ سعد الدين قدس الله سره الدور الفعال في توجيهه إلى قرى الجولان وهوران ونواحيها لاستتابة العرب العصاة في تلك المنطقة وهدايتهم، وجمعهم على كلمة التوحيد، وسلوك نهج الإسلام، وبذلك جمع مصادر القوة من هنا وهناك ببطنته وذكائه الحاد وبمئة من الله وفضل ودخلوا تحت جناحه فأحيا فيهم روح الإسلام في تنظيم عسكري، قادهم به نحو الجهاد والفداء والتحرير ضد الغزو الصليبي .

وإلى جانب هذا فقد كان له في هذه المرحلة رحلة طويلة بدأ فيها من بلاد الشام إلى العراق ثم إلى أقاصي الهند . زار فيها العلماء الأعلام، ومراقده البيت الكرام والأولياء، والصالحين، وكانت هذه الرحلة بمثابة دعوة إلى الله تعالى وما نزل بلداً إلا وترك فيها أثراً واضحاً. وله في ذلك قصص وأخبار وكرامات، ما تزال متناقلة، ومدونة في كتب السادة السعدية.

بعض الألقاب التي تطلق على السلطان الشيخ سعد الدين الجبائي قدس

الله سره

الإمام المجاهد المرابط السلطان الشيخ سعد الدين الجبائي الحسيني الحسيني الشيباني الشيباني المكي الجنائي قدس الله سره . القطب الرباني، الغوث الفرد المنير الصمداني، بحر الأسرار والأنوار، صاحب الأنفاس، أبو المواهب

والفتح والفتوح، سلالة النبوة الطاهرة، قطب الطريقة، ومعدن الإرشاد والحقيقة، راعي الناموس، أبو الأكلحل... وألقاب كثيرة غيرها.

ويتحقق في الشيخ سعد الدين الجبائي قدس الله سره من الكرامة المعنوية بأجلى معانيها. فهو العالم العامل، والعارف الواصل والمرشد الكامل، والإمام المجاهد المرابط، و... وشيمه وشمائله تشهد له بذلك، إلا أن ذلك لا يسترعي اهتمام العامة بقدر ما ينظرون إلى الكرامات الحسية، والتي يجسدون فيها العظمة، والبطولة، والفداء والأمل، والراحة والسكون، والانتصار وتحقيق الرغائب المفقودة بالنسبة لهم في كثير من الأحيان. والشيخ سعد الدين قدس الله سره شأنه في ذلك شأن غيره من الأولياء الكبار الذين يلجأ إليهم في ذلك. وتروي لنا كتب السادة السعدية بعض كرامات الشيخ فإن وجه الحقيقة واضح فيها، أما باقي جوانبها فإنه متروك لعامل الزمان والمكان، وحاجة العامة إلى ذلك في حياتهم المكبوتة.

ويذكر لنا الشيخ شمس الدين محمد السعدي الحلبي في كتابه (المحمدية في أحوال الفقراء السعدية)، و (الرسالة المحمدية في الرد عن السادة السعدية)، والشيخ أبو الطيب الغزي الدمشقي في كتابه (النفحة الربانية في الطريقة السعدية)، والشيخ علي الخضري السعدي في كتابه (الوفاء بالعهد)، (المجموعة السنينة في الطريقة السعدية)، والشيخ أحمد البريدي في كتابه عرائس المعاني، وغيرها، بعضاً هذه الكرامات.

مؤلفات الشيخ سعد الدين الجبائي قدس الله سره

لا تزال مؤلفات الشيخ سعد الدين قدس الله سره مؤسس هذه الطريقة المباركة بشكل خاص ومؤلفات الطريقة السعدية بشكل عام مخطوطة. لم ترَ النور إلى الآن، ولا تزال محفوظة في المكتبات الخاصة هنا وهناك، والمكتبات العامة في البلاد العربية والبلاد الأجنبية. ولا نعرف من مؤلفاته إلا نزراً يسيراً منها أو البعض من أسمائها، ومن الغريب أن مؤلفاته ومؤلفات الطريقة السعدية رغم سعة انتشارها وأهميتها لا تزال في طي النسيان.

وبشكل عام فإن الطريقة السعدية لم تلقَ العناية الكافية من قبل الباحثين والدارسين ممن يعطيها حقها في الدراسة، والبحث العلمي الموثق، مع أنها من الطرق الصوفية المهمة، التي لعبت دوراً مهماً منذ ظهورها، وخصوصاً في فترة الحكم العثماني، في بلاد الشام، وتركيا، وحتى في أوروبا الشرقية، وكانت تعتبر الطريقة الأولى في بلاد الشام من حيث انتشارها وأهميتها على المستويات كافة.

ومن مؤلفاته التي رأيناها، أو انتهت عنواناتها إلى سمعنا هي :

كتاب الفتوح : وهو أشهر مؤلفات الشيخ قدس الله سره وهو يقع في مجلدين من القطع الكبير.

- كتاب الهواتف .

- كتاب الأخبار .

- كتاب الوقائع .

وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة ذكرها لي العالم الجليل الشيخ عبد الوكيل الدروبي رحمه الله وقال لي: "إنَّ كل كتاب منها يقع في مجلد من القطع الكبير،

وهي بحوزة أحد خلفاء الطريقة السعدية في مصر وقد أطلعني عليها عند زيارته إلى دمشق الشام وزيارة ضريح الشيخ سعد الدين في الخميسيات من د هذا القرن".

- الورد الكبير : الذي يعتمد السادة السعدية في افتتاح مجالس الذكر والوظيفة السعدية.

- الورد الأوسط - الورد الصغير - الورد المثلث - الورد المسبع - الورد الفضي .

- الورد الرائد المسمى بحزب الفتوحات .

- الورد المسمى بحزب الصفا

- الورد المسمى بحزب الأنوار والتحصين .

- ورد القطب المسمى بحزب الآيات لكسر الأعداء ودعائه.

- ورد الغلبة المسمى بحزب آيات الفتح.

- دعاء اسمه تعالى الرحمن

- مجموعة أوراد الليالي والأيام.

- صيغ صلوات على النبي الكريم ﷺ مرتبة على حروف الهجاء .

وغيرها من أوراد وتساييح، وأدعية مباركة، ورقع وأسرار، وهواتف

خاصة لأهل طريقته العلية.

- مجموعة قصائد ومنظومات في التوحيد، والتضرع، ومدح الرسول

الأعظم ﷺ والحقيقة المحمدية والحنين والشوق إلى الكعبة المشرفة والبلد

الحرام.

أما ما ينسب إلى الشيخ سعد الدين قدس الله سره من قصائد وبعض أبيات
فيها أقوال...

هذه بعض السطور التي ترجمت لحياة الشيخ سعد الدين الجبائي قدس
الله سره، حيث وقفنا على نسبه الشريف، وأبناء الشيخ سعد الدين الجبائي
قدس الله سره، لتعمق في حياته وعلمه ومعارفه، وبعض الألقاب التي تطلق
على السلطان الشيخ سعد الدين الجبائي قدس الله سره، لنصل في النهاية إلى
مؤلفات الشيخ سعد الدين الجبائي قدس الله سره.

وأسأل الله أن أكون قد وفقت في هذه الترجمة عن شيخ عالم علامة.

٢٦

كتاب جمع الاسرار في منع الاسترار

عز الطعن في كصوفية الاحيار

اهل التواجد بالاذكار

تأليف مولانا المحقق

الشيخ عبدالفتي

النابلسي

م

ذلك الثواب من الملك الوهاب ولا يخفكم سيدي ماورد في فضل
تفريح الكرب عن المومنين والنصر لهم والله اعلم واحكم **الجواب**
منا ع ذلك بمعونة الرب القدير الملك بيان الحق المبين ونصرة
لاخواننا المومنين في رسالة اسمها جمع الاسرار في منع الاسرار
من الطعن في الصوفية الاخيار اهل التوحيد بلاذكار وبارك
الاستنصار **اعلم** يا اخي اولان زماننا هذا كثر فيه الجهل
باقوال العلام المتقدمين والمتأخرين حتى صار علماءه يفترون
الكلام وينسبونه الى اصحاب المذاهب من ائمة الدين ويضعون
الاحاديث والاكاذيب على النبي صلى الله عليه وسلم بحسب اغراضهم
الفاسدة ولا يباليون وسبب ذلك قصورهم في العلم وعدم الاطلاع
على كتب العرفان الفقهاء وغيرهم وها انا انقل لك ما كتبه العلام في
كتبهم المعتمدة المقبولة المعروفة عند اهل الاسلام وانقل اليك
فتاواهم في المذاهب الاربعة مذاهب المجتهدين الكرام والله ولي التوفيق
والانعام امارع الصوت بالذكر وبالتهليل فقد صنف فيه العلامة
المجتهد الحافظ المحدث الكبير الشيخ جلال الدين السيوطي طه الكاظم
ائمة السافعية رحم الله تعالى رسالة متقلة سماها نتيجة الفكر
في الجهر بالذكر بناها جوابا عن سؤال رفع اليه فيما اعتاده السادة
الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر به في المساجد ورفع الصوت
بالتهليل وهل ذلك مكروه ام لا **فاجاب** انه لا كراهة في شيء من
ذلك وقد وردت احاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر واحاديث
تقتضي استحباب الاسرار ولجمع بينهما ان ذلك يختلف باختلاف
الاحوال والاشخاص كما جمع النووي رحم الله تعالى بذلك بين

الاحاديث

الاحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن والاحاديث
 الواردة باستحباب الاسرار بها وها انا ابين ذلك **ذكر**
الاحاديث الدالة على استحباب الجهر بالذكر نصريحاً والتراماً
الحديث الاول اخرج البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا عند من اعبدني
 لي وانا مع اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان
 ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم والذكر في الملأ لا يكون الا
 عن جهر **الحديث** الثاني اخرج الزوار والحاكم في المستدرک وصححه
 عن جابر رضي الله عنه قال خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا
 الناس ان الله سر ايام الملايكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الايام
 فارتعوا في رياض الجنة قالوا وابن رياض الجنة قال مجالس الذكر
 فاغدا وروحوا في ذكره **الحديث** الثالث اخرج مسلم والحاكم
 واللفظ له عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ان الله تعالى ملايكة سيارة وفضل لا يلبسون مجالس الذكر في
 الارض فاذا اتوا على مجالس ذكر حف بعضهم بعضا باجنتهم الى السما
 فيقول الله عز وجل من اين جيتم فيقولون جينا عند عبدك
 يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويسألونك ويسئلونك فيسبحون
 فيقول ما يسألونك وهو اعلم فيقولون يسئلونك الجنة فيقول
 وهل راوها فيقولون لا فيقول فكيف لوراها ثم يقول اسمها
 اني قد غفرت لهم واعطيتهم ما سألون واجرتهم مما استجارون فيقولون
 ربنا ان فيهم عبد اخطأ جلس اليهم وليس منهم فيقول وهو ايضا
 قد غفرت له هم القوم لا يشق عليهم جلسهم انتهى كلامه ومرادنا منه

ونك

يارب فيقول فكيف
 لوراوها فيقول
 وهم يسبحونك وهو
 اعلم انهم فيقولون
 النار فيقول وهل
 راوها فيقولون
 لا يصح

النص المحقق

ذلك الثواب من الملك الوهاب، ولا يخفاكم سيدي ما ورد في فضل تفريج الكرب عن المؤمنين والنصر لهم والله أعلم وأحكم.

الجواب منا عن ذلك بمعونة الرب القدير المالك بياناً للحق المبين، ونصرة لإخواننا المؤمنين في رسالة اسمها جمع الأسرار في منع الأشرار من الطعن في الصوفية الأخيار أهل التوحيد بالأذكار وبالله الاستنصار.

اعلم يا أخي أولاً أن زماننا هذا كثر فيه الجهل بأقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين، حتى صار علماءؤه يفرّون الكلام وينسبونه إلى أصحاب المذاهب من أئمة الدين، ويضعون الأحاديث والأكاذيب على النبي ﷺ بحسب أغراضهم الفاسدة ولا يبالون، وسبب ذلك قصورهم في العلم وعدم الاطلاع على كتب العلماء من الفقهاء وغيرهم.

وهأنذا أنقل لك ما كتبه العلماء في كتبهم المعتمدة المقبولة المعروفة عند أهل الإسلام.

وأنقل لك فتاواهم في المذاهب الأربعة مذاهب المجتهدين الكرام والله ولي التوفيق والإنعام.

أما رفع الصوت بالذكر وبالتهليل فقد صنف فيه العلامة المجتهد الحافظ المحدث الكبير الشيخ جلال الدين السيوطي، من أكابر أئمة الشافعية رحمه الله تعالى، رسالة مستقلة سماها "نتيجة الفكر في الجهر بالذكر" بناها جواباً عن سؤال رفع إليه، فيما اعتاده السادة الصوفية في عقد حلق الذكر والجهر به في

المساجد ورفع الصوت بالتهليل، وهل ذلك مكروه أم لا ؟ فأجاب إنه لا كراهة في شيء من ذلك.

وقد وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر، وأحاديث تقتضي استحباب الإسرار والجمع بينهما، إن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، كما جمع النووي رحمه الله تعالى بذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن والأحاديث الواردة باستحباب الإسرار بها. وهأنا أبين ذلك.

ذكر الأحاديث

الدالة على اسنحاب الجهم بالذكر تصحاً والنزماً

الحديث الأول: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:
(يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم)⁽¹⁾.
والذكر في الملأ لا يكون إلا عن جهر.

الحديث الثاني: أخرج البزار والحاكم في المستدرک وصححه عن جابر رضي الله عنه
قال خرج علينا النبي ﷺ فقال: (يا أيها الناس إن لله سرايا من الملائكة تحل
وتقف على مجالس الذكر في الأرض، فارتعوا في رياض الجنة قالوا وأين رياض
الجنة؟ قال مجالس الذكر في الأرض فارتعوا وروحوا في ذكر الله تعالى)⁽²⁾.

الحديث الثالث: أخرج مسلم والحاكم واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى ملائكة سيارة وفضلاء يلتمسون مجالس الذكر
في الأرض فإذا أتوا على مجلس ذكر حفّ بعضهم بعضاً بأجنحتهم إلى السماء،
فيقول الله ﷻ من أين جئتم؟ فيقولون جئنا من عند عبادك يسبحونك
ويكبرونك ويمجدونك ويهللونك ويسألونك ويستجرونك، فيقول ما
يسألونني، وهو أعلم، فيقولون يسألونك الجنة، فيقول وهل رأوها فيقولون لا
يارب، فيقول فكيف لو رأوها ثم يقول اشهدوا أنني قد غفرت لهم وأعطيتهم

(1) صحيح البخاري (7405) - ج 9 ص 121 باختلاف يسير، صحيح مسلم (2675) - باب
الحث على ذكر الله تعالى - ج 4 ص 2061 باختلاف يسير، صحيح.

(2) الألباني، ضعيف الترغيب (918) - كتاب الذكر والدعاء - ج 1 ص 231، ضعيف.

ما سألوني وأجرتهم مما استجاروني فيقولون ربنا إن فيهم عبداً خطاء جلس إليهم وليس منهم فيقول وهو أيضاً قد غفرت له هم القوم لا يشقى بهم جليسهم⁽¹⁾. انتهى كلامه

ومرادنا ننبه النار هنا على أن بعض حلق الصوفية الذين يذكرون الله تعالى، قد يحضر بعض الفساق فيدخلون معهم في المغفرة ويشاركونهم في الأجر، كما قال في هذا الحديث إن فيهم عبداً خطاء بتشديد الطاء المهملة أي كثير الخطأ وهي الذنوب. ثم قال السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه المذكور

الحديث الرابع: أخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: (ما من قوم يذكرون الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده)⁽²⁾.

الحديث الخامس: أخرج مسلم والترمذي عن معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: (ما يجلسكم؟ قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده، فقال إنه أتاني جبريل وأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة)⁽³⁾.

(1) صحيح مسلم (2689) باب فضل مجالس الذكر - ج 4 ص 2069 بنحوه. صحيح ثابت.

(2) الترمذي (2689) ج 3 ص 139. صحيح

(3) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - (2701) ج 8 ص 72.

الترمذي (2690) ج 3 ص 139. صحيح.

الحديث السادس: أخرج الحاكم وصححه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون)⁽¹⁾.

الحديث السابع: أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أبي الجوزاء قال قال رسول الله ﷺ: (أكثروا ذكر الله حتى يقول المنافقون إنكم مراؤون)⁽²⁾.
حديث مرسل وجه الدلالة في هذا الحديث والذي قبله أن ذلك إنما يقال عند الجهر دون الإسرار.

ثم ذكر أحاديث أخر كثيرة أوصلها إلى خمسة وعشرين حديثاً كلّها تفيد استحباب الجهر بالذكر والتهليل. منها ما أخرج البيهقي عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (ما من قوم يجتمعون يذكرون الله تعالى إلا ناداهم منادٍ من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات)⁽³⁾.

ومنها ما أخرج البيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يقول الرب تعالى يوم القيامة سيعلم أهل الجمع اليوم من أهل الكرم. فقيل ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال مجالس الذكر في المساجد)⁽⁴⁾.

(1) أحمد (11653)، والحاكم (1839)، والبيهقي في شعب الإيمان- فصل في إدامة ذكر الله عز وجل- (523)- ج 2 ص 64. ضعيف.

(2) البيهقي في شعب الإيمان- فصل في إدامة ذكر الله عز وجل- (524) - ج 2 ص 64.

(3) أحمد (12453)، والبخاري (6467). باختلاف يسير.

(4) أحمد (11652)، البيهقي- شعب الإيمان- فصل في إدامة ذكر الله عز وجل- (531)- ج 2

ومنها ما أخرج البيهقي عن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال [ابن] الأدرع انطلقت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فمر برجل في المسجد يرفع صوته قلت يا رسول الله عسى أن يكون هذا مرائياً قال: ولكنه أواه⁽¹⁾.

أي موفق أو رحيم رقيق القلب أو كثير الدعاء.

وأخرج البيهقي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل يقال له ذو البجادين: إنه أواه وذلك أنه كان يذكر الله عز وجل⁽²⁾.

وذو البجادين ثنية بجاد بباء موحدة وجيم ككتاب كساء مخطط واسمه عبد الله ذو البجادين دليل النبي صلى الله عليه وسلم ذكره في القاموس.

وأخرج البيهقي عن جابر رضي الله عنه أن رجلاً كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل لو أن هذا خفض من صوته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإنه أواه⁽³⁾.

ومنها ما أخرج الطبراني وابن جرير عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بعض آياته ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨] فخرج يلتمسهم فوجد قوماً يذكرون الله عز وجل منهم نائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد فلما رأهم جلس معهم وقال الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرني ربي أن اصبر نفسي معهم⁽⁴⁾.

(1) البيهقي، شعب الإيمان- فصل في إدامة ذكر الله عز وجل- (576)- ج 2 ص 100، (18971). مرسل.

(2) البيهقي، شعب الإيمان- فصل في إدامة ذكر الله عز وجل- (575)- ج 2 ص 99، أحمد (17453). حسن.

(3) البيهقي- شعب الإيمان- فصل في إدامة ذكر الله عز وجل- (579)- ج 2 ص 103. باختلاف الحاكم، المستدرک علی الصحیحین- کتاب الجنائز- (1361)- ج 1 ص 522

(4) الطبري

ومنها ما أخرج الأصفهاني في الترغيب عن أبي رزين العقيلي أن رسول الله ﷺ قال له: ألا أدلك على ملاك الأمر الذي تصيب به خير الدنيا والآخرة قال بلى. قال عليك بمجالس الذكر وإذا خلوت فحرك لسانك بذكر الله ﷻ.

ومنها ما أخرج الشيخان يعني البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله ﷺ. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته⁽¹⁾".

ومنها ما أخرجه الإمام أحمد في الزهد عن ثابت قال كان سفيان في عصابة يذكر الله تعالى فمر النبي ﷺ فقال فكفوا فقال إني رأيت الرحمة تنزل عليكم وأحببت أن أشارككم فيها⁽²⁾. ثم قال الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم.

وأخرج الحاكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، كتب الله تعالى له ألف ألف حسنة ومحاه عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وبنى له بيتاً في الجنة. وفي بعض طرقه فنأدى⁽³⁾.

(1) صحيح البخاري (841)- باب الذكر بعد الصلاة- ج 1 ص 168، صحيح مسلم (583)-

باب الذكر بعد الصلاة- ج 1 ص 410. صحيح.

(2) الحاكم، المستدرک على الصحيحين (419) ج 1 ص 210. صحيح.

(3) الترمذي (2726) ج 3 ص 152. حسن، وابن ماجه- باب الأسواق ودخولها- (2235) ج 3

ص 345.

ثم قال السيوطي رحمه الله تعالى إذا تأملت ما أوردناه من الأحاديث عرفت في مجموعها أنه لا كراهة البتة في الجهر بالذكر، بل فيه ما يدل على استحبابه إما صريحاً أو التزاماً كما أشرنا إليه.

وأما حديثه خير الذكر الخفي فهو نظير معارضة أحاديث الجهر بالقرآن بحديث السر بالقرآن كالسر بالصدقة.

وقد جمع النووي رحمه الله تعالى بينهما بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام. والجهر أفضل في غير ذلك لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين، ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه في الفكر ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم ويزيد في النشاط.

وما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه رأى قوماً يهللون برفع الصوت في المسجد فقال ما أراكم إلا مبتدعين حتى أخرجهم من المسجد. فهذا أثر عن ابن مسعود يحتاج إلى بيان سنده ومن أخرجه من الأئمة الحفاظ في كتبهم وعلى تقدير ثبوته فهو معارض بالأحاديث الكثيرة الثابتة المتقدمة وهي مقدمة عليه عند التعارض. ثم رأيت ما يقتضي إنكار ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه. قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في كتاب الزهد حدثنا ابن المسعودي عن عامر عن سفيان أبي وائل قال هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه كان ينهى عن الذكر ما جالست عبد الله مجلساً قط إلا ذكر الله تعالى فيه.

وأخرج أحمد في الزهد عن ثابت البناني قال: إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله وإن عليهم من الآثام أمثال الجبال، وإنهم ليقومون من ذكر الله ما عليهم منها شيء. انتهى.

ويفهم من هذا الحديث أن المجتمعين على ذكر الله تعالى ليس في شرطهم أن يكونوا صالحين، بل لو كانوا فاسقين وعليهم من الآثام أمثال الجبال لقاموا من ذكر الله تعالى مغفوراً لهم، كما هو معنى هذا الحديث فافهم.

وذكر الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن حجر المكي من أئمة الشافعية رحمة الله عليه في كتابه الفتاوى الحديثية، لما سئل عن حكم المواليذ والأذكار التي يفعلها كثير من الناس في هذا الزمان، فأجاب بقوله: المواليذ والأذكار التي تفعل عندنا تشتمل على خير كصدقة وذكر وصلاة وسلام على رسول الله ﷺ ومدحه، فمن علم بوقوع شيء من الشر في ذلك فهو عاصٍ آثم، وإلا فقد وردت الأحاديث في الأذكار المخصوصة والعامّة كقوله ﷺ: (لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده)⁽¹⁾ رواه مسلم.

وروي أيضاً أنه ﷺ قال لقوم جلسوا يذكرون الله تعالى ويمجدونه على أن هداهم للإسلام: (أتاني جبريل فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة). وفي الحديثين أوضح دليل على فضل الاجتماع على الخير والجلوس له، وأن الجالسين على خير كذلك يباهي الله بهم الملائكة، وتنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله تعالى بالثناء عليهم بين الملائكة. فأى فضائل أجل من هذه.

(1) صحيح مسلم، (2700)- كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ج4، ص 2074. مرفوع.

وذكر الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى أيضاً في كتابه المذكور، وقد سئل عن رقص الصوفية عند تواجدهم هل له أصل؟ فأجاب بقوله: نعم له أصل، فقد روي في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له: (أشبهتَ خلقي وخلُقي)⁽¹⁾ وذلك من لذة هذا الخطاب. ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم.

وقد صح التمايل والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من كبار الأئمة، منهم شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى، وذكر العلامة خاتمة المدققين شيخ الإسلام الشيخ خير الدين الرملي من كبار أئمة الحنفية رحمه الله تعالى في فتاواه الخيرية، وقد سئل عما اعتاده السادة الصوفية من حلق الذكر والجهر به في المساجد من جماعة ورثوا ذلك عن آبائهم وأجدادهم، وينشدون القصائد الصادرة عن ذوي المعارف الإلهية كالقادرية والسعدية والمطاوعة، ممن سلمت لهم فقهاء الملة المحمدية، ويقولون يا شيخ عبد القادر يا شيخ أحمد يا رفاعي شيء الله عبد القادر ونحو ذلك، ويحصل لهم في أثناء الذكر وجد عظيم، وحال يقعد ويقيم فيرفعون أصواتهم بالذكر فيطويهم الحال وينشرهم المقال. ولا يخلو ذلك في حضور أناس عوام يحصل عنهم اللحن عند الهيام وقصدتهم ذكر الله المهيمن العلام، يدخلون الذكر بنية صالحة ورغبة واضحة.

فأجاب رحمه الله تعالى بقوله: اعلم أولاً أن في القواعد المشهورة التي في كتب الأئمة مقرررة مذكورة، أن الأمور بمقاصدها والله الواحد يتصف بالحل والحرمة باعتبار ما قصد له وهي مأخوذة من الحديث الذي رواه الشيخان

(1) صحيح البخاري (2699) - ج 3 ص 184. (4251) - باب عمرة القضاء - ج 5 ص 141. وهو حديث طويل. صحيح.

البخاري ومسلم (إنما الأعمال بالنيات)⁽¹⁾. ومداد غالب أحكام الإسلام عليه كما نص عليه العلماء إلى أن قال رحمه الله تعالى حقيقة ما عليه الصوفية لا ينكرها إلا كل نفس جاهلة غبية .

وأما حلق الذكر والجهر به وإنشاد القصائد، فقد جاء في الحديث ما اقتضى طلب الجهر، نحو (وإن ذكرني في ملاً ذكرته في ملاً خير منه)⁽²⁾. رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه، ورواه أحمد بنحوه بإسناد صحيح، وزاد في آخره قال قتادة والله أسرع. والذكر في الملاً لا يكون إلا عن جهر وكذا حلق الذكر وطواف الملائكة بها. وما ورد فيها من الأحاديث فإن ذلك إنما يكون في الجهر بالذكر.

وهناك أحاديث اقتضت طلب الإسرار والجمع بينهما بأن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، كما جمع بين الأحاديث الطالبة للجهر بالقراءة والطالبة للإسرار بها، ولا يعارض ذلك خبر الذكر الخفي، لأنه حيث خيف الرياء أو تأذي المصلين أو النيام.

والجهر ذكر بعض أهل العلم أنه أفضل حيث خلا مما ذكر، لأنه أكثر عملاً ولتعددي فائدته إلى السامعين، ويوقظ قلب المسامع الذاكر فيجمع همته إلى الفكر ويصرف سمع إليه ويطر⁽³⁾ النوم ويزيد النشاط.

(1) صحيح البخاري (1)- باب بدء الوحي إلى رسول الله- ج1 ص 6، أبو داود - باب فيما عني به الطلاق والنيات- (2201) ج2 ص651. صحيح مسلم- باب قوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال (1907)- ج3 ص 1515، باختلاف يسير.

(2) البخاري (7405)- ج9 ص 121، صحيح مسلم (2675)- باب الحث على ذكر الله تعالى- باب فضل الذكر والدعاء ج4 ص 2061، 2067، وابن ماجه (3822) باختلاف. وهو جزء من حديث صحيح.

(3) يَطْرُ / وَيَطْرُ

وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُر رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ [الأعراف : ٢٠٥]. أوجب عنه إنها مكية كآية الإسرار ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا﴾ [الإسراء : ١١٠] نزلت لثلاثا يسمعه المشركون فيسبون القرآن ومن أنزله فأمر به سرا للذريعة، كما نهى عن سب الأصنام لذلك. وقد زل بعض شيوخ مالك وابن جرير وغيرهما، حملوا الآية على ذكر حال قراءة القرآن تعظيماً له يدل عليه اتصالها بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف : ٢٠٤]. وقالت السادة الصوفية الأمر في الآية خاص به ﷺ.

وأما غيره ممن هو محمل الوسواس والخواطر الردية فمأمور بالجهر، لأنه أشد في دفعها وتفسير الاعتداء في قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة : ١٩٠] بالجهر بالدعاء مردود، بأن الراجح من تفسيره التجاوز عن المأمور به أو الاختراع فيها، لا أصل له في الشرع والتوفيق بين ما ورد في الجهر والإسرار بنحو ما قررت واجب، فإن قلت صرح في فتاوى قاضيخان بأن رفع الصوت بالذكر حرام لقوله ﷺ لمن رفع صوته بالذكر: (إنك لا تدعو أصم ولا غائباً)^(١). وقوله ﷺ: (خير الذكر الخفي)^(٢). لأنه أبعد عن الرياء وأقرب إلى الخضوع محمول على الجهر الفاحش المفرط. ومنهم من لم يمنع منه حيث وجد لذة الشهود وغلب عليه الوجد من الذكر، واستدلوا بما وقع لجعفر بن أبي طالب

الأصح في النص هو "ويطر" أو "يطرد" حسب السياق، لكن من سياق النص الذي يذكر "يوقظ القلب ويطرده النوم" فالمراد هو:
يَطْرُ / يَطْرُدُ = يزيل، يصرف، يبعد.
مثال: "يطرد النوم" أي يزيله.

(1) صحيح البخاري (2992) ج 4 ص 57. باختلاف.

(2) البيهقي- شعب الإيمان- فصل في إدامة ذكر الله عز وجل- (547)- ج 2 ص 81. صحيح ابن حبان (809) ج 3 ص 91 باختلاف يسير. صحيح.

ﷺ لما قال له عليه الصلاة والسلام: (أشبهتَ خلقي وخلقِي)⁽¹⁾. وفي لفظ جعفر أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً فخلج، أي مشى على رجل واحدة. وفي رواية رقص من لذة هذا الخطاب.

ولم ينكر عليه ﷺ رقصه وجعل ذلك أصلاً لجواز رقص الصوفية، عندما يجدون من لذة الوجد في مجالس الذكر والسماع. وقال الشيخ خير الدين أيضاً في فتاواه المذكورة رحمه الله تعالى: ثم رأيت بعد مدة من أفتى هذا سؤالاً رفع للشيخ أبي الفتح محمد بن محمد بن عبد السلام، من كبار أئمة المالكية شيخ الإسلام الدمشقي الدار رحمه الله تعالى، وصورة السؤال ما قول ساداتنا العلماء أئمة الهدى ومصايح الدجى، أيد الله تعالى بهم الدين وقمع بهم الجهلة والمفسدين، ونفع بعلمهم المسلمين، في رجل يزعم أنه حنفي حضر مجلس حاكم شرعي، وادّعى على جماعة من الصوفية أنهم يذكرون الله تعالى قياماً ويرقصون ويغنون، وقال هذا محرّم أفتيت بتحريمه، وطلب من الحاكم المشار إليه منعهم من ذلك. فأجاب الجماعة المذكورون بأنهم جماعة صوفية وذلك جائز عندهم. فطلب الحاكم الموما إليه فتوى أحد من السادة الشافعية، فأحضر إلى مجلسه رجلاً من أهل العلم والإفتاء شافعيًا، فأخبر الحاكم بجواز ذلك في مذهب الشافعي، وقال يستثنى من ذلك الرقص الذي يشبه حركات المخنثين فإن ذلك حرام، وإن الإنشاد المشتمل على تنزيه الرب تعالى وتقديسه ومدح الرسول ﷺ والترغيب في الجنة والترهيب من النار، وما يحصل به الشوق المطلوب شرعاً فكل ذلك جائز. فأجابه الشخص المنكر المذكور بقوله هذا

(1) صحيح البخاري (2699) - ج 3 ص 184. (4251) - باب عمرة القضاء - ج 5 ص 141. وهو حديث طويل. صحيح.

الذي ذكرته باطل، وقد كفرت بهذه الفتوى وطلقت زوجتك، فهل ما قاله المنكر صحيح أم باطل؟ وهل هو مصيب في إنكاره أم مخطئ؟ وماذا يترتب عليه في تكفيره لهذا الرجل المفتي الشافعي في الأحكام الشرعية؟ وهل يكون بمقالته هذه وإنكاره قارحاً في كثير من أئمة الدين كالشافعي ومالك ونحوهما، وطاعناً على السلف الصلاح ومكفراً لكل من قال بجواز ذلك من المتقدمين والمتأخرين من الفقهاء والصوفية وغيرهم، وهل لولاية الأمر وعلماء المسلمين وصلحائهم مناقشة هذا المنكر على ما قاله، ومقابلته على ما تفوه به، ويثابون على ذلك الثواب الجزيل؟ فأجاب رحمه الله تعالى الحمد لله: اللهم وفقنا للصواب ما صدر من هذا المنكر المذكور والمجازف المغرور من تحريم المباح، وتكفير أهل العلم والصلاح، أمر شنيع وقول فظيع لا يصدر مثله من عاقل، ولا يتفوه به لبيب فاضل، لخروجه في ذلك عن القواعد العلمية، وعدم رجوعه إلى الضوابط الفقهية، إذ من شرط إنكار المنكر معرفة مذهب المنكر عليه، لاحتمال أن يكون ذلك الفعل جائزاً لديه، فيصير الإنكار حينئذ منكرًا والقائم به من أي المذاهب كان مزوراً، فلا يسوغ الإنكار في الفروع المختلف فيها، إلا مع اتحاد المذهبين في فروع الفقه والأصلين والمعرفة التامة بالحكم الشرعي في تلك الجزئية، وما يندرج تحته من قاعد كلية ليكون المنكر على بصيرة، والمنكر عليه في وجوب الامتثال على وتيرة.

وقال جل وعلا: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يُوسُف : ١٠٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإِسْرَاء : ٣٦]. فلا يقدم على النكير إلا عالم نحرير متسع الرواية والاطلاع عارف بالخلاف ومراتب

الإجماع لاسيما في مسألة السماع، فإنها دقيقة المغزى بعيدة المرمى واسعة المجال
سابعة المثال، قد اضطربت فيها أقوال السلف واختلف في تقريرها أئمة
الخلف، حتى عدها بعض العلماء من المسائل التي هي إلى الآن لم تحرر، وإن
كثرت البحث فيها وكرر كما صرح به غير واحد من المحققين.

وسئل العالم الكامل والزاهد العامل الشيخ عز الدين بن عبد السلام، من
أئمة الشافعية رحمه الله تعالى، عن السماع الذي يعمل في هذا الزمان في مجالس
الذكر. فأجاب بما صورته سماع ما يحوكم الأحوال السنوية المذكورة للآخرة
مندوب إليه، وقال في قواعده الكبرى عند ذكر السماع، من كان عنده هوى
مباح كعشق زوجته وأتمه فسماعه لا بأس به، ومن يدعوه هوى محرم فسماعه
حرام، ومن قال لا أجد في نفسي شيئا من الأقسام فالسماع في حقه مكروه
وليس بمحرم، فمن جزم بالتحريم والتكفير فقد أخطأ فيما قال، ووقع في
الكفر والضلال واستحق العقوبة والنكال.

نسأل الله تعالى العصمة والتوفيق والهداية إلى أقوم طريق.

وذكر الشيخ العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر المكي الشافعي رحمه الله
تعالى، المتقدم ذكره في كتابه الفتاوى الحديثية، قال وأوراد الصوفية التي
يقرونها بعد الصلوات على حسب عاداتهم في سلوكهم لها أصل أصيل.

فقد روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لئن أذكر الله تعالى مع
قوم بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أحب إلي من الدنيا وما فيها. ولئن

أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحبّ إلي من الدنيا وما فيها)⁽¹⁾.

وروى أبو داود عنه أي عن أنس رضي الله عنه أنه رضي الله عنه قال: (لئن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى في صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحبّ إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل. ولئن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى في صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحبّ إلي من أن أعتق أربعة)⁽²⁾.

وروى أبو نعيم أنه رضي الله عنه قال: (مجالس الذكر تنزل عليهم السكينة وتحف بهم الملائكة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله تعالى)⁽³⁾.

وروى أحمد ومسلم أنه رضي الله عنه قال: (لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده)⁽⁴⁾.

وإذا ثبت أن لما يعتاده الصوفية من اجتماعهم على الأذكار بعد الصبح وغيره أصلاً صحيحاً من السنة، وهو ما ذكرناه فلا اعتراض عليهم في ذلك، ثم إن كان هناك من يتأذى بجهرهم كمصلٍ ونائم ندب لهم الإسرار، وإلا رجعوا لما يأمرهم به أستاذهم الجامع بين الشريعة والحقيقة، لأنه كالطبيب فلا يأمر إلا بما فيه شفاء لعله المريض، ولذلك تجد بعضهم يختار الجهر لدفع

(1) البيهقي- شعب الإيمان- فصل في إدامة ذكر الله عز وجل- (555)- ج 2 ص 86.

(2) أبو داود- كتاب العلم-(3667)- ج 4 ص 73-74 .

(3) أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) ((5/ 118)).

(4) صحيح مسلم (2700) – باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم- ج 4 ص 2074، مسند الإمام أحمد (11875)- ج 18 ص 378 ، صحيح ابن حبان (855)- ج 3 ص 136-137. صحيح.

الوسواس الرديء والكيفيات النفسانية، وإيقاظ القلوب الغافلة وإظهار الأعمال الكاملة، وبعضهم يختار الإسرار فيجاهد النفس ويقائمها طوق الإخلاص وإيثار الخمول.

وقد ورد أن عمر رضي الله عنه كان يجهر وأبو بكر رضي الله عنه كان يسر فسألهما النبي صلى الله عليه وسلم فأجاب كل بنحو ما ذكرته فأقرهما.

وذكر الشيخ ابن حجر في فتاواه الحديثية أيضاً قال: إنشاد الشعر وسماعه إن كان فيه حث على خير أو نهي عن شر، أو تشويق إلى التآسي بأحوال الصالحين والخروج عن النفس ورعونتها وحفظها، والدأب والجد في التحلي بالمراقبة للحق في كل نفس، ثم الانتقال إلى شهوده في كل ذرة من ذرات الوجود والعبادات، كما أشار إليها الصادق المصدوق عليه السلام بقوله: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)⁽¹⁾. فكل من الإنشاد والاستماع سنة والذي نسمعه من طوائف اليمانية وغيرهم أنهم لا ينشدون في مجالس ذكرهم إلا بما فيه شيء مما ذكرناه، والمنشدون والسامعون مأجورون مثابون إن صلحت نياتهم وصفت سرائرهم.

وأما إن كانوا بخلاف ذلك فيفهمون من كلام الصالحين غير المراد به مما يليق بأغراضهم الفاسدة وشهواتهم المحرمة، فهؤلاء عاصون آثمون فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.

(1) صحيح البخاري (50) - ج 1 ص 19، صحيح مسلم (9) باب الإيمان ما هو - ج 1 ص 39، وهو جزء من حديث طويل.

والحاصل أن العبرة بالمقصود بالنيات وما اشتملت عليه القلوب وأكنة الضمائر، فرب سامع قبيحاً صرفه إلى الحسن وعكس فيعامل كلّ أحد بحسب نيته وقصده. وينبغي للإنسان حيث أمكنه عدم الانتقاد على السادة الصوفية، نفعنا الله بهم أن يسلم لهم أحوالهم ما وجد هم محملاً صحيحاً يخرجهم عن ارتكاب المحرم.

وقد شاهدنا من بالغ في الانتقاد عليهم مع نوع تعصب فابتلاه الله تعالى بالانحطاط عن مرتبته وأزال عنه عوائد لطفه وأسرار حضرته. ثم أذاقه الهوان والذلة وردّه إلى أسفل سافلين، وابتلاه بكلّ محنة وعله، فنعوذ بك اللهم من هذه القواصم المرهفات والبواتر المهلكات، ونسألك أن تنظمننا في سلوكهم القوي المتين وأن تمن علينا بما مننت عليهم حتى نكون من العارفين والأئمة المهتدين، إنك على كلّ شيء قدير وبالإجابة جدير.

ولقد وقع في مصر المحروسة سؤال من بعض مشايخ الصوفية في سنة خمس ومائة وألف، صورته ما عليه السادة الدمرداشية ومن خلف خلفهم وحذا حذوهم كالخلوتية والسادة الشناوية، من ذكر الله تعالى والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، والحلقة المسماة بالهوية ودورانهم مشتغلين بقولهم هو هو هو قاصدين بذلك ذكر الله تعالى، متولّين بالوجد والشوق بما هم عليه من خدمتهم لأسماء الله تعالى الحسنى، واشتغال قلوبهم بنار المحبة والقول الأسنى، فهل ذلك جائز لا اعتراض على فاعله؟ وهل في ذلك تمثيل بالسامري كما قال المعترض؟ وهل هناك مناسبة بين من يذكر الله وبين ما يدعيه المعترض أم الأمور بمقاصدها كما قال عليه الصلاة والسلام، وإذا قلت

وترتيبهم الحلقة المسماة عندهم بالهوية ودورانهم بها، وقولهم هو هو هو قاصدين بذلك النشاط والمعونة على ذكر الله تعالى مع شدة الوجد والشوق لذلك والهيام والتلذذ بها هنالك، مقتدين بقوله تعالى في أقوالهم وأفعالهم ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 191]، مطلوب مرغوب موافق في الحالة المذكورة للكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وقال ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)^(١). وقال أيضاً ﷺ: (نية المرء خير من عمله)^(٢).

فالمدار في العمل على إخلاص النية فمن رمى مثل هؤلاء الجماعة بالاعتراض بقول أو فعل، فقد تعرض للمقت من الله تعالى، ومن مثل فعلهم بفعل السامري يليق به أن يمثل هو بمعبوده، يعني بالعجل ابن البقر، وكيف يعترض على ما هو مطلوب وممدوح ومندوب، فإن زعم المعارض أن فعلهم وذكرهم لأجل الرياء وصرف وجوه الناس إليهم، قلنا له إنه لا يطلع على ما في القلوب إلا علام الغيوب.

والحاصل أن الاعتقاد خصوصاً في مثل هؤلاء الجماعة مطلوب، ولا يجوز الإنكار إلا على من يأتي بما يخالف الشرع، وينابذه ظاهراً من فعل أو قول كأن يكشف عورته أو يترك واجباً أو فرضاً أو يأتي منكراً من المنكرات حال صحوه واختياره لا حالة غيبته واضطراره والله تعالى أعلم .

(1) صحيح البخاري (1) - ج 1 ص 6.

(2) أبو نعيم، حلية الأولياء (43/8).

وأجاب أيضاً عن السؤال المذكور الشيخ العالم الفاضل محمد الأحدي الشافعي الأزهري حيث قال: الحمد لله الذي يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب ويلهمه ذكره مع الأحباب، والصلاة والسلام على من جاء بالهدى ودفع الردى بأشرف كتاب، وعلى آله وصحبه الذين مدحهم الله تعالى في كثير من الآيات، وعمت بطرقهم البركات وتنوعت العبادات والطاعات.

وبعد فالذي يظهر من حال الجماعة المذكورين الملازمين لذكر ربهم في كل وقت وحين، قد شهدت بمحاسنهم الأخيار ونطقت بولايتهم الأعيان والأخيار، وأن من أنكر ما هم عليه فقد تعرض لغضب الجبار، فإن الذكر أفضل الطاعات وبه تنزل الرحمات والمعترض على الذاكرين من المطرودين المحرومين فعليه أن يتدارك ما فاته من تضييع زمانه بسوء اعتقاده وحرمانه، وليبكِ على نفسه الأمانة بالسوء ويتب من ذنبه الذي أوقعه في ورطة الاعتراض على من يذكر الله على كل حال ويثاب من له ولاية الأمر، ضاعف الله له ولنا الأجر على كف ضرر المعترض بغير دليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل والله سبحانه وتعالى أعلم بالأحوال ولا يعلم بالنيات إلا علام الخفيات.

وأجاب أيضاً عن السؤال المذكور الشيخ الإمام العالم الفاضل الشيخ محمد الأزهري من أئمة المالكية حيث قال: الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فأقول: إن السادة الدمرداشية والسادة الشاوية وباقي من ذكر فإنهم على الاستقامة أصلاً وفرعاً، وما يقولونه من هذا الذكر، فإنه من أسائه تعالى، وإنه لا عبرة بقول جاهل معاند للحق، فليقع فيه السيف زجراً لأمثاله والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأجاب أيضاً الشيخ الإمام أحمد الأزهري: الحمد لله الموفق بفضلته والمضل لمن شاء بعدله الجماعة المذكورون على خير عظيم، لا ينكر ما هم عليه إلا من ابتلي بسوء الاعتقاد ويخشى عليه يوم المعاد، ويجب على ولي الأمر زجره وتأديبه لأنه ضال مضل والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأجاب أيضاً الشيخ الإمام العلامة عبد ربه المديرى الشافعي الأزهري حيث قال: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وآله وصحبه الذين شادوا الدين وقاموا عمده، أما بعد فالجماعة المذكورون حيث كان فعلهم قاصدين به وجه الله تعالى، وحصل لهم وجد حتى استغرقوا في ذكر الله تعالى، فهم مثابون على ذلك غير آثمين، ولا يجوز لأحد أن يحكم عليهم بالإثم وبأن فعلهم لغير الله تعالى، لأنه لا يطلع على ما في القلب إلا الله تعالى، والحكم إنما هو على الظاهر والله أعلم بالسرائر، وتمثيلهم بالسامري الكافر لا يجوز لمسلم، فإن أفتى هذا القائل بكفرهم فقد كفر مسلماً بغير دليل قطعي، فيجب على ولاة الأمور زجره ومنعه مما هو فيه من الاعتراض، وبفرض كونهم لا يقصدون بهذا ذكر الله ولا غيره، فالدوران مباح ما لم يترتب عليه ضرر لأنفسهم أو لغيرهم، والتسليم فيما لا يعلمه الشخص من الأحوال أسلم والله تعالى أعلم.

وأجاب أيضاً الشيخ الإمام العلامة أبو الصفا علي الشنواني الأزهري حيث قال: الحمد لله حمد المفتقرين إليه وأشكره شكر المقبلين عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد أهل الإخلاص من السادة الصوفية،

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله خير البرية صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه بكرة وعشية.

أما بعد فإن ما عليه السادة المذكورون من ذكر الله تعالى والصلاة والسلام على أفضل الخلق ودورانهم الحلقة المسماة بالهوية، فإن ذلك أمر مسنون مرغوب فيه لكونه موافقاً للكتاب والسنة، فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

ومن السنة ما أخرجه الإمام الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العبادة أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال الذاكرون الله كثيراً^(١). وحينئذ يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يمثل هؤلاء السادة بالسامري ويعترض عليهم، بل كلامه زور ومقت وضلال وخزي عليه ووبال يستحق بسببه التعزير اللائق بحاله الزاجر له ولأمثاله عن الوقوع في أعراض صلحاء المسلمين فيشبههم بمن هو هائم في حبّ الأصنام والكفر والطغيان، وحينئذ فيجب على ولاية الأمور، ضاعف الله لهم الأجور، عند وقوفهم على هذه الحادثة قمع المعترضين ومنع الطاغية المعاندين .

وأجاب أيضاً الشيخ الإمام علي بن الشيخ عامر الأتباي بلداً، السنيسي نسباً الطائي قبيلة الأزهري من أئمة المالكية حيث قال: نحمدك اللهم على فقه التسليم بما استأثرت به أهل قربك وأولياك وجعلت قلوبهم أوعية

(١) أحمد (11720) ج18 ص 248. باختلاف يسير.

لمعادن فيضك واصطفائك المشاهدين لمقام الإحسان المشرقين بنور جمالك
وآلائك، والصلاة والسلام على معدن الكمال ومظهر الجلال ومشرق الجمال
قطب دائرة الأولياء ومشيد أركان ذوي الإيمان من الأتقياء، سيد أهل الحب
والذوق واسطة عقد أهل القرب والشوق محمد المصطفى ونبك المقتفى وعلى
آله وأصحابه الكرام المختصين بالشرف والإنعام...

أما بعد ففضل المسؤول عنهم لا ينكر وكراماتهم عنية عن أن تذكر، ولن
يزالوا ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، فإذا يجب الإيمان
والتصديق بأصل طريقتهم وتفضيلهم وتوفيقهم ولا نسيء بهم الظن، فإن ما
هم عليه في الذكر والتهليل والصلاة والسلام على النبي ﷺ خير عظيم وفضل
جسيم بإجماع الأمة، موافقين للكتاب والسنة. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ
اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 191].

ومن السنة ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل أي
العباد أفضل درجة يوم القيامة؟ قال الذاكرون الله كثيراً... الحديث.

وأما الحلقة المسماة بالهوية والأخذ بأيدي بعضهم بعضاً ودورانهم وقولهم
(هو هو هو) فذلك أمر جائز باعتبار أنهم مستدلون بما رواه النقاش عن رسول
الله ﷺ أنه قال: لما أهبط الله آدم إلى الأرض بكى ثلاثمائة عام، فأوحى الله إليه
ما يبكيك؟ قال: يا رب لست أبكي شوقاً إلى الجنة ولا خوفاً من النار، ولكن
أبكي على فراق الملائكة الذين يطوفون على العرش سبعون ألف صف جرد
مرد يرقصون ويتواجدون، كل واحد منهم أخذ بيد صاحبه يقولون بأعلى
أصواتهم: من مثلنا وأنت ربنا؟ من مثلنا وأنت حبيبتنا؟ وذلك دأبهم إلى يوم

القيامة، فأوحى الله تعالى إليه أن ارفع رأسك يا آدم فانظر، فرفع رأسه إلى السماء فنظر إلى الملائكة وهم يطيطون حول العرش فسكن روعه. قالت الصوفية: نقلد إخواننا في النسب وأصحابنا من أهل السماء في المذهب، ثم قول المعترض بتمثيل السامري هو كما قال شيخنا في جوابه يليق به ثم إن يمثل هو بمعبوده، فأين التشبيه وأين المشبه به؟. ثم إن كان قوله من كلام إمام مجتهد فالله تعالى أوجب عليهم تقليد إمام واحد في جميع أقواله مسألة مسألة، بل لهم أن يأخذوا من قوله ويتركوا، كما قال مالك رضي الله عنه: كل واحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا صاحب هذا القبر رضي الله عنه، فيا هذا إذا وقفت غداً بين يدي الله تعالى فسألك بما كفرت هؤلاء بفعلهم، وإعادة من صلى الله خلفهم فما حجتك؟ إن قلت: قلدت إمامي، فقال لك: وأنا ما أوجب تقليد زيد: فيجب على ولي الأمر، أيد الله دولته، أن يمنع عن هؤلاء السادة الأخيار ما يصدر في حقهم من أهل الشقاوة الأشرار، لما هم عليه من الدعوات والله حلیم ستار.

ووقع سؤال آخر في مصر المحروسة في التاريخ المذكور صورته ما تقول السادة العلماء رضي الله عنهم في رجل معترض، يقول في حق السادة الخلوئية ونحوهم حيث يقومون للذكر ويدورون محلقيين آخذين بأيدي بعضهم بعضاً ويسمونها الهوية، إنهم يكفرون لأنهم يرقصون ويتلاعبون بالذكر، ويكفر من يقول بجواز ذلك، فماذا يترتب على هذا الخبيث في إنكاره على هذه الطائفة الفائزة الناجية إن شاء الله تعالى؟ الذين يجتمعون على تلاوة القرآن العظيم وذكر الله تعالى والصلاة والسلام على نبيه محمد رضي الله عنه وإخراجه لهم عن دائرة الإسلام؟ وهل هؤلاء الطائفة مستند من السنة المطهرة أو من أحد من السلف

الصالحين أم لا؟ ومن جملة اعتراضه وشدة افتراءه أن قال لجماعة اقضوا جميع صلاتكم التي صليتموها خلف من يفعلها، أو يقول بجوازها. ومن جملة اعتراضه أيضاً أن قال: إن من يقول يا سيدي أحمد يا بدوي أو غيره من الأولياء يكفر، لأنه أشرك مع الباري سبحانه وتعالى غيره، مع أن قائل هذا إنما يقوله بقصد التوسل بالولي لقربه من الله تعالى مع اعتقاده أن الله إله واحد لا شريك له فهل اعتراضه مردود أم لا؟ وهل التوسل بالأنبياء والأولياء جائز في الحياة وبعد الممات أم لا؟

الجواب قال الشيخ الإمام العلامة أبو العز أحمد بن العجمي الشافعي الوفاي الأزهري: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا المعارض لا يؤبه باعترضه ولا يتابع في أقواله وإن اعتقد أن ما عليه هذه الطائفة كفر فقد باء به، وعليه أن يجدد إسلامه مع تعزيره وتنكيله لإساءة الأدب وتمويهه، فقد واظب هذه الطائفة جلة أعلام مشايخ الإسلام كالعلامة المقدسى والعلامة الشرنبلالي وحضر مجالسهم جهابذة حفاظ ذابن عن الشريعة بأوثق حفاظ، فلهؤلاء الطائفة سند أي سند وسلف أي سلف وما يفعلونه ليس برقص، إنما هو مجرد دوران ومع التنزل فالرقص الخالي عن التكسر⁽¹⁾ والتشي لا حرمة فيه ما لم ينضم إليه محرم كآلة ومزمار واشتمل على تكسر وتشي، وأمره بقضاء الصلوات دليل سوء عقيدته. إما لكونه لا يرى

(1) التَّكْسَرُ : تُسْتَدْرَجُ فِي سِيَاقِ الذَّمِّ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنِ الرَّقْصِ:

التَّكْسَرُ = التَّمَايَلُ الْمَتَكَلِّفُ، وَإِنْتِثَاءُ الْجَسَدِ عَلَى هَيْئَةٍ غَيْرِ لَائِقَةٍ، فِيهَا تَشَبُّهُ بِالْمَخْنَثِينَ. بِمَعْنَى: رَقْصَةٌ فِيهَا لَيُونَةٌ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ شَرَعًا أَوْ عَادَةً.

صحة الصلاة إلا خلف معصوم أو اعتقاد كفرهم، هذا كفر والعياذ بالله تعالى، فإن الصلاة صحيحة خلف كل بر وفاجر ولا قضاء، كما لو بان إمامه محدثاً أو ذا نجاسة خفية، وإنما يلزم القضاء إذا بان إمامه كافراً معلناً أو مخفياً. وقول يا سيد أحمد أو يا شيخ فلان ليس من الإشراك لأن القصد التوسل والاستغاثة. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقد سئل أستاذنا علامة الإسلام حامل لواء الشريعة الغراء على أحسن نظام الشيخ محمد الشوبري رحمه الله تعالى، عما يفعله السادة الخلوتية من ذكر الله تعالى قائمين محلين رافعي أصواتهم بقولهم (هو هو) فهل لمن يعرف ذلك الاعتراض عليهم ويدعي أنهم يمنعون من ذلك؟ فأجاب إن طريق السادة الخلوتية من أعظم الطرق العرفانية قصد سلوكها الكثير من الأئمة الأعلام السادة القادة العظام لتصفية السرائر وتنوير الأفئدة والبصائر والتخلص من الدعوات النفسانية والتخلق بأخلاق تلك الأسرار العرفانية، فأشرفت والله عليهم أنوارها ودارت فيهم وبهم وعنهم أسرارها فكملموا بالحقيقة بهذه الطريقة وصاروا هم المشار إليهم بالكمال على هذه الحقيقة، فإياها من موارد ما أعضبها ومشاهد ما أطيبها كرع من حياضها العاملون، وتلوا في مشاهدة أسرارها وما يعقلها إلا العالمون، إلى أن قال: فلا إنكار ولا منع من ذلك ولا اعتراض على أهل هذه المسالك.

وفي حاوي الفتاوي لخاتمة الحفاظ والمحققين شيخ المحدثين العلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله في جماعة صوفية اجتمعوا في مجلس ذكر، ثم إن

شخصاً من الجماعة قام في المجلس ذاكراً فاستمر على ذلك فهل لأحد زجره
ومنعه؟

فأجاب لا إنكار عليه. فقد سئل عن هذا السؤال شيخ الإسلام سراج
الدين البلقيني رحمه الله تعالى فأجاب: بأنه لا إنكار عليه في ذلك وليس لمانع
التعدي يمنعه ويلزم المتعدي بذلك والتعزير.

وسئل عنه العلامة برهان الدين الأبناسي رحمه الله تعالى فأجاب بمثل ذلك
وزاد: إن صاحب الحال مغلوب والمنكر محروم فالسلامة في تسليم حال القوم.
وأجاب بذلك بعض أئمة الحنفية والمالكية كلهم كتبوا هذا السؤال بالموافقة
من غير مخالفة أقول: وكيف ينكر الذكر قائماً والقيام ذاكراً، وقد قال تعالى:
﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وقالت عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه، وإن
انضم إلى هذا القيام رقص أو نحوه، فلا إنكار عليهم فذلك من لذة الشهود
بالتواجد.

وقد ورد في الحديث الشريف رقص جعفر بن أبي طالب ﷺ بين يدي النبي
ﷺ لما قال له: (أشبهت خلقي وخلقي)^(١)، وذلك من لذة هذا الخطاب، فكان
هذا أصل في رقص الصوفية لما يدركون من لذة المواجيد. وقد صح القيام
والرقص في مجالس الذكر والسماع في جماعة من كبار الأئمة منهم شيخ
الإسلام عز الدين بن عبد السلام.

(١) صحيح البخاري (2699) - ج 3 ص 184. (4251) - باب عمرة القضاء - ج 5 ص 141.
وهو حديث طويل. صحيح.

وسئل العلامة الشهاب الرملي رحمه الله تعالى عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد: يا شيخ فلان ونحو ذلك. فأجاب: بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام والأولياء والعلماء والصالحين جائزة. يقول مصنف هذه الرسالة يشير إليه بطريق الأمر ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

قال الشيخ الرملي وللرسل والأنبياء والأولياء إغاثة بعد موتهم، لأن معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بموتهم. أما الأنبياء فإنهم أحياء في قبورهم معجزة لهم والشهداء أيضاً أحياء شوهدوا نهاراً جهاراً يقاتلون الكفار.

وأما الأولياء فهي كرامة لهم، فإن أهل الحق على أن يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يجريها الله تعالى بسببهم إلى أن قال: وبالجملة ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي لا فارق بينهما إلا التحدي. انتهى

فعلى ولاة الأمور، ضاعف الله تعالى لهم الأجور، منع هذا المعارض وأمثاله من الخوض فيما لا يعينهم وردعهم بالتعزير اللائق بهم.

وهذا صورة ما أجاب به العلامة الشيخ عبد الحي الشرنبلالي الحنفي رحمه الله تعالى حيث قال: الحمد لله مانح الصواب نعم لطريق الشيخ محمد دمرداش وخليفته الشيخ كريم الدين الخلوئي أصل ثابت في السنة من فعل سيدنا علي وجعفر وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، وصرح به العلاقة الحافظ السيوطي في كتاب له مسمى بحاوي الفتاوي ونقل الجواز عن الحنفية والمالكية، وما وقع

في رسالة منسوبة للعلامة الحلبي شارح منية المصلي، وغيره من تحريم ذلك وتكفير مستحله من انضمام الطبل والمزامير إليه، فليس على ما ينبغي لأن مذهب الشافعية ومالك جواز الطبل والمزامير عند مالك وبعض الشافعية، فيلزم على القول بتكفير مستحله تكفير هؤلاء الأئمة الأعلام، نعوذ بالله من نسبتهم إليه.

وأما رفع الصوت بالذكر فمختلف فيه عند أئمتنا. ذكره قاضيخان في فتاواه كراهته، ونقل صاحب البحر عن القنية بعد أن ذكر عن قاضيخان بأنه لا بأس به وعبادته في باب صلاة العيدين إمام يعتاد في كل يوم مع جماعته قراءة آية الكرسي وآخر البقرة، وشهد الله ونحوه جهراً لا بأس به والأفضل الإخفاء.

ثم قال أيضاً قاص عنده جمع كثير يرفعون أصواتهم بالتسييح والتهليل جملة لا بأس به والإخفاء أفضل. انتهى.

وجعل ما تفعله الخلوتية من الدوران من العبث واللعب، كما ذكره الحلبي في رسالته المذكورة ليس على ما ينبغي، لأنه في العبث يفعل ما لا لذة فيه، واللعب يفعل ما فيه لذة، وما يفعل الخلوتية ليس من هذا القبيل بل فعلهم فيه غرض صحيح شرعي، وهو استحضار القلب بخلوصه للذكر. ولا شك أن خلوص الذكر لله من أفضل الأعمال فهذا الفعل منهم لذلك.

وأما من قال بتكفيرهم وتكفير من يحضر مجالسهم، فكلام مردود لمخالفة أهل المذهب لهم. فقد نقل صاحب البحر ألفاظاً كثيرة عن فتاوي قاضي خان والبزازية والتتارخانية يكفر بها صاحبها. وقال نقلاً عن الطحاوي ومن

أصحابنا لا يخرج الرجل من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه. ثم ما يتيقن أنه ردة يحكم بها وما يشك أنه ردة لا يحكم بها إذ الإسلام السابق لا يزول بشك مع أن الإسلام يعلو.

وفي الخلاصة وغيرها: إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير ووجه واحد يمنع التكفير، فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير، فعلى هذا فأكثر ألفاظ التكفير المذكورة لا يفتى بالتكفير بها. وقد ألزمت نفسي إلا أفتي بشيء منها. انتهى ملخصاً.

وقول المعترض إنهم يقضون صلاتهم التي صلوها خلفهم قول من لا معرفة له بفرائض الصلاة وأركانها، فلا دليل له على قوله. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ويغنيك عن ذلك كله قوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)⁽¹⁾.

وأما التوسل بالأنبياء والأولياء فجائز إذ لا يشك في مسلم أن يعتقد في سيدي أحمد أو غيره من الأولياء أن له إيجاد شيء من قضاء مصلحة أو غيرها إلا بإرادة الله وقدرته، والمسلم متى أمكن حمل كلامه على معنى صحيح سالم من التكفير وجب المصير إليه كما تقدم.

ثم اطلعت بعد هذا على رسالة منسوبة إلى المرحوم نوح أفندي تقوي ما ذكرناه وترد خلافه. فالحمد لله أولاً وآخرأً وظاهرأً وباطناً.

وهذا صورة ما أجاب به الشيخ الإمام سليمان السراخيتي المالكي :

(1) صحيح البخاري (1)- باب بدء الوحي إلى رسول الله- ج 1 ص 6،

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبداه، هؤلاء السادة ذكرهم مشهور مشهود ويحضرهم فيه العلماء والفقهاء قرناً بعد قرن من قديم الزمان إلى الآن، فهم على حال محمود وطريق بالخير معهود، فمن آذاهم مستحق لما في الحديث القدسي من الوعيد: (من آذى لي ولياً فقد أذنته بالحرب)⁽¹⁾ ومن لم يكن منهم ولياً فهو في حمى الأولياء لحبه لهم ومشيه على طريقهم.

وما رأينا السادة الخلوتية بمصر من السادة الدمرداشية والسادة الذين هم فروع الأستاذ كريم الدين الخلوتي وغيرهم، إلا في غاية من الإيقان بذكر كلمة الإيثار وبالنطق بالاسم الأعظم على وجهه المعظم، فأحياهم الله تعالى وحياهم وأحيا الطريق بوجودهم ومزيد النور في وجوههم، مما استنارت به سائرهم وزكت به ضمائرهم، فمن نسبهم فهو الكافر وصلاتهم في غاية الصحة، فعلى من كفرهم أن يراجع إسلامه، وعلى ولي الأمر أن يدفع عن هؤلاء السادة، ويكف عنهم ألسنة الجهلة المتكلمين فيهم بغير ما يجوز في حقهم مما هو مذكور في السؤال. وقد سبقني الشيخان وهما المذكوران هنا قبله وهما العلامة الشهاب الرملي الشافعي والعلامة الشيخ عبد الحي الشرنبلالي الحنفي رحمهما الله تعالى بما يغني عن إعادة المقال والله الحمد على وجود مثل هؤلاء السادة المحيين لما اندرس بطريق القوم مع ما لهم من ذلك من الأذكار في الخلوات والجلوات، وما هم عليه من الصيام والقيام، فهم السادة الأعلام ومن يرحم الله تعالى بهم الأنام، ولا عبرة بمن خالفهم فإنه محروم والسلام.

(1) صحيح البخاري (6502) – باب التواضع- ج8 ص105. باختلاف.

وقد رأيت في فتوى رفعت سابقاً إلى الشيخ الإمام العلامة محمد الشوبري المصري رحمه الله تعالى بما ملخصه هل كرامات الأولياء ثابتة بعد موتهم؟ وهل تصرفهم ينقطع بالموت أم لا؟ وهل يجوز تقبيل توابيت الأولياء والاعتناء بهم أم لا؟

فأجاب: بما ملخصه كرامات الأولياء ثابتة وتصرفهم لا ينقطع بالموت ويجوز التوسل بهم إلى الله تعالى والاستغاثة بالأنبياء والمرسلين وبالعلماء الصالحين بعد موتهم لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم. أما الأنبياء عليهم السلام بعد موتهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الأخبار، وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم.

وأما الأولياء فهي كرامة لهم. قال شيخنا الرملي رحمه الله تعالى وهذه الأشياء يعني الكرامات مشاهدة لا يمكن إنكارها، فالذي نعتقه ثبوت كراماتهم في حياتهم وبعد وفاتهم، ولا تنقطع بموتهم. إلى أن قال وأما تقبيل توابيت الأولياء واعتنائهم خلاف في جوازه، بل ولا كراهة في تقبيل أعتابهم على قصد التبرك كما أفتى به شيخنا الرملي رحمه الله تعالى.

قال الشيخ محمد الشوبري في أواخر فتاواه المذكورة: وهذا الأمر الظاهر غني عن طلب الدليل إذ الطلب لذلك إنما يصدر من جاهل معاند جاحد لا يلتفت إليه، ولا يعول في هذه المباحث الشرعية عليه. وقد غلب هذا الداء العضال على كثير ممن يزعم أنه من أرباب الأحوال نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومضلات الأفعال، ولا حول ولا قوة إلا بالله الكبير المتعال. انتهى

وهذه صورة ما أجاب به الإمام الهمام الشيخ محمد الخليلي الشافعي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ذي الجلال والإكرام رافع لواء الأئمة
الأعلام وناشر طريقة المشايخ الكرام، وقامع أهل البغي والانصرام ورايد
كل حاسد بالانتقام، فما تم إلا ما أراد للأنام نشكره كلما ذكره الذاكرون،
ونوحده كلما غفل عن ذكره الغافلون. ونصلي ونسلم على أفضل خلفه وهو
النبي المأمون وعلى آله وصحبه وأتباعه أولئك هم الفائزون، ومن عاندهم أو
عاداهم أولئك هم الخاسرون.

وبعد فأقول إني قد اطلعت على هذا السؤال ووجدته قد كتب عليه أئمة
أعلام، وهم المعول عليهم في الأحكام، وقد أجابوا وأجادوا وهذا مما يجب على
أهل الدين الدفع عنه مما يرد عليه من الشبه والضلال. ولا شك أن من عارض
السادة الصوفية فيما هم عليه من ذكر وعبادة ونحوها، سواء كانوا من السادة
الخلوتية أو غيرهم، إنما مراده إبطال نظام الإسلام، ولا شك أن هذا ابتداء
يجب رد من أراده وزجره وتنكيله بما يليق بحاله، ثم لا يخفى أن المعارض لا
يخلو إما أن يكون اعتراضه لغرض نفساني، فهذا لا نظر إلى اعتراضه، ويترتب
على أفعال مقتضاها، وإما أن يكون لحسد أهل الطريق وبغضهم فلا يخفى
ابتداعه وضلاله فإنهم على حق، وطريقهم مسدد مبني على التفويض
والتسليم.

وإما قول القائل إن الذاكرين على تلك الحالة يكفرون، فإن قال بكفرهم
عن تصميم واعتقاد فلا يخفى إثمهم بل كفره، لأن من كفر مسلماً عن اعتقاد بلا
تأويل كفر، وإن قال ذلك مما اشتمل عليه فعلهم من الرقص والهوية، فهذا لا
يقتضي التأثيم فضلاً عن التكفير. فقد صرح أئمتنا بأن الرقص لا حرمة فيه

ولا كراهة لما في الصحيحين، يعني صحيح البخاري وصحيح مسلم أنه ﷺ وقف لعائشة رضي الله عنها يسترها حتى تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون ويزفنون، والزفن الرقص، ولأنه مجرد حركات على استقامة أو اعوجاج نعم إن كان بتكسر حرم وهم لا يفعلونه بتكسر كما هو مشاهد منهم. ثم لا يخفى على كل أحد أن الذكر بسائر أنواعه محمود سواء كان بتسييح أو تقديس أو ذكر الله تعالى أو غير ذلك. قال الله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] ، قال البيضاوي: بقلوهم وألستهم ﴿الذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]. قال البيضاوي: يعم ما هو أهله من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد وسبحوه بكرة وأصيلاً. قال أول النهار وآخره خصوصاً. وقد قال ﷺ كما رواه أبو داود عن أبي هريرة ؓ: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)^(١). وقال ﷺ: (ما اجتمع قوم على ذكر فتفرقوا عنه إلا قيل: قوموا مغفوراً لكم)^(٢) رواه الحسن بن سفيان عن سهل بن الخنظلية ؓ.

(١) صحيح مسلم (2700)- باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم ج 4 ص 2074، باختلاف يسير. وأبو داود (1455). صحيح.

(٢) الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (5507) - حرف الميم - ج 2 ص 967.. صحيح.

وقال ﷺ: (ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله وصلاة على النبي ﷺ إلا قاموا عن أنتن من جيفة)⁽¹⁾ رواه الطيالسي والبيهقي في شعب الإيمان والضياء عن جابر ﷺ.

وقال ﷺ: (ما اجتمع قوم فتفرقوا على غير ذكر الله إلا كأنها تفرقوا عن جيفة حمار، وكان المجلس عليهم حسرة)⁽²⁾ رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ والأحاديث وآيات في هذا المعنى كثيرة جداً.

أما قول المعترض اقصوا صلاتكم فهذا كلام ظاهر البطلان وما وجد الارتباط بين الصلاة والذكر، فإن كانوا يحسنون الفاتحة وأركان الصلاة وما يطلب لها فلا وجه لبطلان صلاتهم ولا صلاة من صلى خلفهم، فقد قال أئمتنا: تصح الصلاة خلف كل بر وفاجر ولو كان من أهل البدع لأننا لا نكفر أحداً في أهل القبلة.

واعلم أن من قال بأهل الشريعة الغراء كان في معزل عن الاعتراض والانتقاد. ألا ترى أنه ﷺ كان يحمل الناس على أحسن الأحوال وأمر بذلك بقوله ﷺ: (ولا تظن بكلمة برزت من امرئ مسلم سوءاً وأنت تجدها في الخير محملاً)⁽³⁾. وقال لمن أقر عنده بالسرقة: (ما أخالك سرقت)⁽⁴⁾. أي: ما أظنك سرقت فأعاد عليه مرّتين أو ثلاثاً.

(1) مسند أبي داود (1863) ج 3 ص 314.

(2) مسند الإمام أحمد (9052) - ج 15 ص 21، سنن النسائي الكبرى (10241) ج 6 ص 108. باختلاف يسير. صحيح.

(3) ابن حجر العسقلاني، الكافي الشاف (67).

(4) أبو داود (4380)، سنن النسائي الكبرى (7363) ج 4 ص 328، مسند الدارمي (2349) - ج 2 ص 1483 باختلاف.

وقال مسلم لما عز لما أقر عنده بالزنا بالغامدية: (لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت)⁽¹⁾ رواه البخاري. والغامدية بالغين المعجمة امرأة في غامد حي في الأزدي ذكره في المغرب.

وقال ﷺ لمن قتل رجلاً قال: (صبأت) أي أسلمت وقال القاتل له ﷺ إنما قتلته لأنه إنما قال ذلك تقية من سيفي. فقال له ﷺ: هل شققت عن قلبه⁽²⁾. فانظر كيف ﷺ يحمل الناس على أحسن الأحوال ولو صدر منهم ما ظاهره المخالفة، فإذا كان ﷺ يحمل من أقر بالسرقة مثلاً على قوله ما أخالك سرقت واتباع أخلاقه ومآثره ﷺ مما يجب، فكيف يقوم مجتمعين على طاعة الله وعبادته من مآثره ومآثر الصحابة والتابعين فينكر عليهم، والإنكار هو الحرمان فهم على طريقة محمودة موافقة للشريعة العزاء.

واعلم أيضاً أن الاعتراض على القوم مما يوجب الخذلان فيوقع فاعله في واد من الخسران كما نص على ذلك العلامة بن حجر من أئمتنا، فمن اعترض عليهم يخشى عليه من سوء الخاتمة، كما وقع لكثير من الناس أنهم مقتوا بذلك ولم يفلحوا، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً.

وأما قوله: إنه لا يجوز التوسل بالأنبياء والأولياء فهذا كذب وافتراء، وقد نص أئمتنا أنه يجوز التوسل بأهل الخير والصلاح ولا يظن عامي من العوام فضلاً عن الخواص أن نحو سيدي أحمد البدوي يحدث شيئاً في الكون، وإنما

(1) صحيح البخاري (6824) - ج 8 ص 167. صحيح.

(2) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (346/1). القصة معروفة مشهورة.

يرون أن رتبهم تقصر عن السؤال من الله تعالى، فيتوسلون بمن ذكر تبركاً بهم، كما لا يخفى إذا عملت ذلك علمت أن التوسل بالأنبياء والأولياء جائز وارد عن السلف والخلف سواء كانوا أحياء أم أمواتاً، ولا ينكر ذلك إلا من ابتلي بالحرمان وسوء العقيدة، نعوذ بالله منه ومن سيرته، فجميع ما قاله مردود عليه ووجب ألا يعول عليه والله أعلم وأحكم.

وهذه الفتاوى العشر عن السؤالين المذكورين صدرت من المفتين العلماء على مذهب الشافعية والحنفية والمالكية في الجامع الأزهر بمصر المحروسة في السنة المذكورة. وذكر العلامة الشيخ مرعي الحنبلي رحمه الله تعالى في كتابه غاية المنتهى في جمع الإفتاء والمنتهى في فقه السادة الحنابلة وعبادته، قال أحمد: لا أرى لرجل دخل المسجد إلا أن يلزم نفسه الذكر والتسبيح، فإن المساجد إنما بنيت لذلك وللصلاة.

وذكر العلامة بن داود الحنبلي رحمه الله تعالى في كتابه تحفة العباد وأدلة الأوراد في الباب الثامن منه في فضل الاجتماع على الطاعة من الأذكار وغيرها، والتحذير من قلة الذكر ومن المجالس التي لا يذكر الله فيها. قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران : ١٠٣]، اعتصموا أي تمسكوا والحبل هو السبب الذي يتوصل به إلى البغية وقيل العهد وقيل القرآن. وقوله ولا تفرقوا أمرهم سبحانه بالاجتماع ونهاهم عن الفرقة، أي لا تحدثوا ما يكون عند التفرق ويزول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها.

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة. رواه ابن أبي الدنيا وغيره.

وقد قال تعالى حكاية عن عبده موسى عليه السلام حيث قال: ﴿وَأَجْعَلِ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِ ۚ هَارُونَ أَخِي ۖ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ۚ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ۚ كَيْ نُنسِبَكَ كَثِيرًا ۚ وَنَذُكُرَكَ كَثِيرًا ۚ﴾ [طه: ٢٩ - ٣٤] ، إلى أن قال قال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى: إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا تري ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فإذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك.

وقد ورد أن إبليس يأتي أهل مجلس الذكر ليفرق بينهم فلا يستطيع ذلك، فيأتي إلى غيرهم فيوقع الشحاء والخصومة بينهم، حتى يقوم أهل الذكر فيصلحون بينهم وذلك قصده، أعني تفرقهم عن مجلس الذكر. انتهى قوله .

وأقول في نظير ذلك اعتبروا يا إخواننا في هذا الزمان في هؤلاء الذين يدعون العلم، وهم من أجهل الجاهلين من استيلاء الغفلة على قلوبهم بحب الدنيا وانطماس بصائرهم عن الحق، وتعصبهم بالباطل، كيف ركبهم الشيطان واجلب بهم على أهل الإيمان من فقر الصوفية الذين يجتمعون في المساجد يذكرون الله تعالى ويسبحونه ويقدمونه، فيريهم إياهم في معصية وينكرون عليهم فينطق الشيطان على ألسنتهم من كمال تمكنه من قلوبهم المشحونة بالخبائث، فينكرون الاجتماع على ذكر الله تعالى ويسعون في التفرقة بين المؤمنين. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وذكر ابن داود الحنبلي أيضاً في كتابه تحفة العباد قال روى الطبراني بإسناد حسن عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (ليبعثن الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور وعلى منابرهم اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء. قال فجثا أعرابي على ركبتيه وقال يا رسول الله حلهم لنا نعرفهم. قال هم المتحابون في الله من قبائل شتى وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه)⁽¹⁾.

وروى ابن أبي الدنيا بسنده عن الحسن البصري رحمه الله تعالى قال: (إن لله ملائكة رادة يرتادون حلق الذكر). وسنده عن الحسن أيضاً.
قال: مجالس الذكر محياة للعلم وتحدث في القلب الخشوع. وسئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن مجالس الذكر ففضلها ورغب فيها وقال: أي شيء أحسن من أن يجتمع الناس فيذكرون الله ويعدون نعمه عليهم.
وقد كان أصحاب رسول ﷺ فمن بعدهم من السلف والخلف الصالح يجتمعون على ذكر الله تعالى حلقاً حلقاً، ورآهم النبي ﷺ وأعجبه حالهم وسر بهم وشهد لهم بما تقدم من الأحاديث.
ومن فوائد الاجتماع على الطاعة من ذكر وغيره دون الانفراد، أن الضعيف يقوى والقوي يزداد قوة إلى قوته.

قال بعض العارفين: القلوب يساعد بعضها بعضاً. كما قال بعض السلف: من جالس الذاكرين انتبه من غفلته ومن خدم الصالحين ارتفع بخدمته. ومنها تذكير الغافل والساهي والنائم ومنها استعمال القلب واللسان والجوارح

(1) الترغيب والترهيب للمنذري (262/2).

بالذكر والحركة والخشوع والقشعريرة، ومنها إسماع الذاكرين فربما يذكر الله من سمعهم فيكونون سبباً لذكره، ومنها إظهار الذكر ويكفي في ذلك أن كل من يسمعه من جن وأنس ورطب ويابس وغيره يشهد له يوم القيامة، ومنها إذهاب النعاس غالباً فإن مع الجماعة يكون الداعي أقوى وأشد لأن الذاكر إذا كان منفرداً قد يكسل ويمل ويغفل فجماعة الذاكرين سبب النشاط والتذكر.

وذكر ابن داود الحنبلي في كتابه المذكور أيضاً قال: وأما الجهر بالذكر فمن أجل العبادات وأشرف الطاعات وأدلته أجل من أن تحصر، منها ما روى الشافعي في مسنده من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ يقول بصوته الأعلى: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه). ثم أعاد الحديث في موضع آخر من كتابه المذكور حيث قال روى مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي من حديث عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما أنه كان يقول دبر كل صلاة حين يسلم: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون⁽¹⁾).

وقال كان رسول الله ﷺ يهليل بهن دبر كل صلاة. وفي رواية قال أبو الزبير سمعت عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما يخطب على المنبر وهو يقول كان

(1) صحيح مسلم (594) - باب استحباب الذكر بعد الصلاة - ج 1 ص 415. صحيح أبو داود (1506) - كتاب الصلاة ج 2 ص 173. والنسائي - التهليل بعد التسليم (1262) - ج 1 ص 398، وأحمد (16122) ج 26 ص 45. باختلاف يسير.

رسول الله ﷺ يقول إذا سلم في دبر الصلاة أو الصلوات ثم ذكر مثله هذه رواية أبي داود والنسائي ورواه الشافعي في مسنده، ولفظه كان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته يقول بصوته الأعلى فذكره وأبو الزبير الراوي عن عبد الله بن الزبير هو محمد بن مسلم المكي. ومنها ما ذكر العلامة الشيخ إبراهيم الكوراني ثم المدني رحمه الله في كتابه تحاف المنيب الأواه بفضل الجهر بذكر الله.

قال روى أبو داود والنسائي من حديث أبي بن كعب ؓ أن رسول الله ﷺ كان إذا فرع يعني من الوتر قال: سبحان الملك القدوس ثلاث مرّات يمد صوته في الثالثة ويرفع من لفظه، الدارقطني وإذا سلم قال: سبحان الملك القدوس ثلاث مرّات يمد بها صوته في الأخيرة ويقول: رب الملائكة والروح. ومنها ما أخرجه أبو الشيخ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (من كبر على سيف البحر بكسر السين المهملة أي ساحله تكبيرة رافعاً بها صوته كتب الله له بها رضوانه الأكبر)⁽¹⁾ الحديث.

ومنها ما ذكر قبل ذلك قال ويوضحه حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند ابن الجزري في النشر قال في المد لقصد المبالغة ومنه مد التعظيم في نحو لا إله إلا الله. قال روي في ذلك حديثين مرفوعين أحدهما عن ابن عمر رضي الله عنهما: (من قال لا إله إلا الله ومد بها صوته أسكنه الله الجلال داراً سمي بها نفسه)⁽²⁾.

(1) لين أبي عاصم- الجهاد - باب ذكر الرباط وفضله ج2 ص 702. باختلاف.

(2) الدارقطني- تعليقات على المجروحين (200/1). ابن حبان - المجروحين (96/2). باختلاف.

وقال ذو الجلال والإكرام ورزقه النظر إلى وجهه. والحديث الآخر عن أنس رضي الله عنه من قال لا إله إلا الله ومدّها هدمت أربعة آلاف ذنب⁽¹⁾.

وكلاهما ضعيفان ولكنها في فضائل الأعمال.

وقال ابن داود الحنبلي في كتابه المذكور: وأما الاهتزاز في حالة الذكر فمندوب إليه، لما روى الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه وصف الصحابة يوماً فقال: كانوا إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة في اليوم الشديد الريح، وجرت دموعهم على ثيابهم. قال أهل اللغة ماد يمد إذا تحرك. ومادت الأغصان تميد إذا تمايلت.

قال شيخنا العارف جمال الدين عبد الله بن حسام الدين خليل الاستربادي ثم البسطامي قدس الله روحه: وهذا صريح على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتحركون في الذكر حركة شديدة يميناً وشمالاً، لأنه شبه حركتهم بحركة الشجر يوم الريح. ومن المعلوم أن الشجر في يوم الريح يتحرك حركة شديدة فيثبت مطلقاً بإباحة الميلان بهذا الأثر، على أن الرجل غير مؤاخذ بما يتحرك ويقعد ويقوم ويلبث على أي نوع كان بعد ألا يكون منهياً عنه، ولم يرد عنه رضي الله عنه نهى عن الحركة في الذكر ولو كان فيها كراهة لبينها لأمته فيما ورد عنه، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

وذكر الشيخ إبراهيم الكوراني في كتابه المذكور أيضاً قال رضي الله عنه: (اذكروا الله حتى يقولوا مجنون)⁽²⁾ وهو حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد وابن عدي

(1) ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان (288/8). لم أقف على هذا الحديث

(2) مسند الإمام أحمد (11653) - ج 18 ص 195.

والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً، وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً عند الطبراني أكثر (واذكر الله حتى يقول المنافقون أنكم مراؤون)⁽¹⁾. وعن أبي الجوزاء مرسلًا عند سعيد بن منصور والإمام أحمد في الزهد والبيهقي: (اذكروا الله حتى يقول المنافقون إنكم مراؤون). ثم ذكر في آخر كتابه المذكور أن المنافق مقتضى نفاقه ألا يذكر الله سر العدم الإخلاص، وإذا جهر فإنما يجهر مراياً، وقد وصفه الله تعالى بالقلّة حيث قال فيهم: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢] فسره بمقتضى النفاق معدوم وجهرهم قليل، فالإكثار من الجهر محمود عند الله وعلامة الإيثار، والإقلال منه مذموم وعلامة النفاق. انتهى

فهذا بعض ما وقفنا عليه من النقول في مذاهب الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم.

ولو استقصينا ما ورد في ذلك لبلغ مجلدات وفي هذا القدر كفاية لأهل الإسلام والايثار، فإذا هذا عم وتحقق عند المسلمين والمؤمنين فلنرجع إلى بيان ما وقع في السؤال الذي بنينا هذه الرسالة على الجواب عنه فنقول وبالله التوفيق وعلى الله القبول. أما رفع الصوت بالذكر والتهليل والتسبيح جهراً فقد علمت ما فيه عند الأئمة الأربعة رضي الله عنهم من جوازه وفضيلته، وكذلك في الدوران والتواجد وفي رقص الصوفية علمت ما ذكرناه في ذلك.

(1)

وأما الحديث الذي ذكره في السؤال من قوله قال النبي ﷺ (السمع حرام إلخ... فهو حديث باطل كذب موضوع على النبي ﷺ وهو غير معروف في كتب الحديث وغيرها، ولا يجوز لأحد التحدث به ولا نسبته إلى النبي ﷺ.

قال ابن داود الحنبلي في كتابه السابق ذكره رحمه الله تعالى روى أحمد في مسنده والدارقطني من حديث أبي هريرة مرفوعاً (إذا حدثتم عني حديثاً تنكروني ولا تعرفونه فلا تصدقوا فإني لا أقول ما ينكر ولا يعرف)⁽¹⁾.

وذكر العلامة الشيخ إبراهيم الكوراني المدني في كتابه المتعلق بأحاديث الإمام الصاغاني في حديث (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده في النار)⁽²⁾. وإنه حديث جاء من طرق كثيرة وأطلق عليه جماعة أنه متواتر أورده الحافظ السيوطي في كتابه الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة في رواية نيف وسبعين صحابياً منهم أبو ميمون الكردي عند الطبراني.

وقال في فتح الباري ورد في رواية ثلاثين من الصحابة بأسانيد صحيحة ومن نحو سبعين بأسانيد ضعيفة ومن نحو عشرين بأسانيد ساقطة. ثم قال أبو موسى المدني رواه نحو مائة من الصحابة. ونقل النووي أنه جاء عن مائتين من الصحابة.

فنعوذ بالله من الكذب على رسول الله ﷺ.

قال الحافظ السيوطي في تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ما نصه،

فائدة:

(1) سنن الدارقطني (208/4) - ج 5 ص 371.

(2) صحيح البخاري (3461) - باب ما ذكر عن بني إسرائيل - ج 4 ص 170. صحيح.

لا أعلم شيئاً من الكبائر. قال أحد من أهل السنة بتكفير مرتكبه إلا الكذب على رسول الله ﷺ، فإن الشيخ أبا محمد الجويني من أصحابنا وهو والد إمام الحرمين قال إن من تعمد الكذب عليه ﷺ يكفر كفوفاً يخرج عنه عن الملة. وتبعه على ذلك طائفة منهم الإمام ناصر الدين ابن المنير من أئمة المالكية. وهذا يدل على أنه أكبر الكبائر فإنه لا شيء من الكبائر يقتضي الكفر عند أحد من أهل السنة. انتهى

وأما قوله في السؤال إن هذا الحديث نقل من بحر العلق للشيخ الشقيق فلا ندري ما هو بحر العلق، ولا من هو الشيخ الشقيق! والذين يضعون الأحاديث الكذب على رسول الله ﷺ كثيرون فليتبؤوا مقاعدهم في النار كما قال ﷺ في حديثه المذكور.

وقالت الشافعية السماع هو مكروه يشبه الباطل إلخ... فهو في السماع الذي يجتمع عليه الفساق بالآلات المنكرات مع الخمر والزنا ونحو ذلك، وإلا فقد رأيت ما ذكرناه عن أئمة الشافعية وغيرهم في السماع المحمود الذي أفتى به أئمة الشافعية وغيرهم، كما سبق بيانه، فلا نحتاج إلى إعادة ذكره .

وأما قوله وقالت المالكية يجب على ولاية الأمور زجرهم وردعهم وإخراجهم من المساجد، فهو أمر باطل مكذوب على المالكية. وقد رأيت ما ذكرناه من فتاوى أئمتهم .

وأما قوله وقالت الحنابلة لا يصلح خلفه إلخ... فهو كذب أيضاً وتزوير عليهم، لما علمت مما ذكرناه سابقاً من عباراتهم وصرائح النقول عنهم، بل عن إمامهم الإمام أحمد بن حنبل كما قدمناه.

وأما قوله وقالت الحنفية الحصر الذي يرقص عليه لا يصل على حتى يغسل إلى آخره. ونقله عن قاضيخان فهو نقل باطل لا أصل له وافتراء على قاضيخان وعلى الحنفية، فإن الحصر التي يشرب عليها الخمر ويزنى فوقها وتسرق والأرض المغصوبة يجوز الصلاة عليها وتصح بإجماع الحنفية، فكيف بالحصر التي يذكر اسم الله عليها؟! هذا لا يقول به من يؤمن بالله واليوم الآخر.

وأما قوله في الرقص والتواجد أول من أحدثه أصحاب السامري إلخ... فكيف يجوز لمسلم أن يشبه الذاكرين الله كثيراً بالكافرين. قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم : ٣٥ - ٣٦]. وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً فُجْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الحجّية : ٢١]. وأيضاً من أين يعلم أن أصحاب السامري كانوا يفعلون هكذا؟ وقد تقدم الكلام على هذا.

وأما قوله فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد إلخ... نسأل الله تعالى أن يحفظ السلطان ونوابه من وساوس هؤلاء الجهال شياطين الأنس أهل الضلال والإضلال. وكيف يسوغ لهم منعهم وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة : ١١٤]. قوله هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين.

فقد علمت ما تقدم بطلان هذا وكذبه الصريح عليهم، وأن الأئمة مجتمعون على جواز الجهر بالذكر كما تقدم النقل عنهم، حتى قال الشيخ إبراهيم المدني في كتابه المتقدم ذكره ما نصه: بل هذا الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه بنفسه ثبت عنه في مسنه رواية بجواز رفع الصوت بالذكر بل استحبابه.

وأما نقله ذلك في السؤال من تفسير القرطبي وأسرار التنزيل الذي هو تفسير البيضاوي، والتفسير الكبير الذي هو للرازي، فهو نقل باطل ليس في الكتب المذكورة شيء من ذلك.

وأما قوله في السؤال قال في الحاوي: ويكره المشي في الذكر والدوران. وقيل يكفر، فهذا كلام لا معنى له فإن المشي في الذكر بأن يذكر الله تعالى ماشياً لا مانع منه شرعاً ولا عقلاً. وأظن أيضاً أنه كذب على صاحب الحاوي، ويدل على بطلانه قوله بعده في السؤال نقلاً عن الحاوي روي عن سعيد بن المسيب أنه مشى ودار وسقط في حال الذكر مختفياً في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا كذب واضح، فإن سعيد بن المسيب لم يدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجماع المحدثين، وإنما ولد بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، في خلافة عمر بن الخطاب لستين مضتاً من خلافته، وقيل لأربع سنين ذكره النووي في تهذيب الأسماء واللغات. وأجمع المحدثون أنه تابعي وليس بصحابي.

وأما قوله في السؤال بعد ذلك فقال: لأصحابه اذبحوه فقصدوا ذلك، ثم قال عليه السلام: لا تذبحوه ولكن ألقوا هذا العمود عليه لا أبرح من مكاني هذا حتى أجدد إيمانه. فانظروا ما أجهل هذا الكاذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أتى بما هو مخالف للعقل والنقل؟، كيف يجدد إيمانه من إتيانه بذكر الله تعالى؟ وكيف

يكفر من يأتي بذكر الله مع أن ذكر الله تعالى هو سبب الإيمان؟! وكيف ينهى النبي ﷺ عما جاء داعياً إليه؟ حيث قال النبي ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) (١) الحديث. فكيف يحكم بكفر في قائلها ويجدد إيمانه؟!.

وقد ورد في الحديث عن أسامة بن زيد لما قتل من قال لا إله إلا الله في الحرب واعتذر بأنه قائلها خوفاً من السيف، فقال له النبي ﷺ: هلا شققت عن قلبه. فنسبة الأمر بالذبح إليه ﷺ وإلقاء العمود عليه أمر شنيع لا يحسن نسبة ذلك إليه ﷺ ممن يؤمن بالله واليوم الآخر.

وأما قوله قال الفقيه صاحب البزازية إن دوران الصوفية في مجلس الذكر لعب وتشبه بفعل المشركين في أيام كفرهم، فهو كلام لا أصل له. فقد صرح في البزازية في كتاب الكراهية والاستحسان بما صورته وفي الفتاوى للقاضي أي قاضيخان رفع الصوت بالذكر حرام، وقد صح عن ابن مسعود ﷺ أنه سمع قوماً اجتمعوا في مسجد يهللون الله ويصلون على النبي ﷺ جهراً فراح إليهم، وقال ما عهدنا ذلك على عهده عليه الصلاة والسلام، وما أراكم إلا مبتدعين. فما زال يذكر ذلك حتى أخرجهم من المسجد. فإن قلت المذكور في الفتاوى إن الذكر بالجهر لو في المسجد لا يمنع احترازاً عن الدخول تحت قوله تعالى: ﴿مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [البقرة: ١١٤]. ومنع ابن مسعود يخالف قولكم قلنا الإحراج من المسجد لو نسب إليه بطريق الحقيقة يجوز أن يكون لا اعتقادهم العبادة فيه ولتعلم الناس بأنه بدعة. والفعل الجائز يجوز أن يكون غير جائز لغرض يلحقه، فكذا غير الجائز يجوز أن يجوز لغرض كما ترك

(١) صحيح البخاري (25) – ج 1 ص 14. صحيح.

الرسول ﷺ الأفضل تعليماً للجواز. وفي الأعراف في قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٥] أي اعبدوه وارفعوا إليه والضراعة الذل والخفية ألا يدخله الرياء ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ أي المشركين أي الذين يدعون غير الله تعالى.

وما روي في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال لرافعي أصواتهم بالتكبير: (اربعوا على أنفسكم إنكم لم تدعوا أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً)^(١) الحديث. يحتمل أنه لم يكن في الرفع مصلحة. فقد روي أنه كان في غزاة ولعل ترك رفع الصوت نحو بلاد الحرب خدعة ولهذا نهى عن الجرس في المغازي.

وأما رفع الصوت بالذكر فجائز كما في الأذان والخطبة والحج. والاختلاف في عدد تكبير التشريق جهراً لا يدل على أن الجهر به بدعة، ولأن الخلاف بناء على أن كونه سنة زائدة على أصل الفعل في كم الصلاة، كما اختلفوا في أن سنة الأربع من الظهر بتسليمة واحدة أولى أم بسليمتين، وذلك لا يدل على أنها لو بتسليمتين تكون بدعة أو حراماً.

هذه عبارة البزازية بحروفها فانظروا فإنه ليس فيها شيء مما نسب إليها في السؤال حتى يظهر لكم كذب الكاذبين في النقول عن العلماء أيضاً، وعن الكتب كما كذبوا على النبي ﷺ وعلى أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وهذا

(1) صحيح البخاري (2992)- باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير -ج4 ص57، صحيح مسلم (2704) باب استحباب خفض الصوت بالذكر-ج4 ص 2076، وأبو داود (1527)، والترمذي (3561).

كذب على الدين دين الإسلام، وكذب على الله تعالى الملك العلام. قال تعالى:
﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الرّم: ٦٠].

نعم غاية ما ذكر في الفتاوى البزازية قبيل كتاب الكراهية قوله في سماع اللهو واللعب الذي تفعله الفسقة استماع الدف والمزمار واللعب بالرقص، الذي أحدثه أولاً السامري حتى أخرج لهم عجباً جسداً له حوار.

وقد نقل صاحب الهداية فيها أن المغني للناس لا تقبل شهادته، لأنه على كبيرة، والقرطبي على أن هذا الغناء وضرب القضيب والرقص حرام بالإجماع عند مالك والشافعي وأحمد في مواضع من كتابه، وسيد الطائفة سيدي أحمد التستري صرح بحرمة. ورأيت فتوى شيخ الإسلام جلال الدين الكيلاني أن مستحل هذا الرقص كافر. ولما علم أن حرمة بالإجماع لزم أن يكفر مستحله. وللشيخ الزمخشري في كشافه كلمات فيهم يقيم بها عليهم الطامة. ولصاحب النهاية والإمام المحبوبي أشد من ذلك. انتهى كلام صاحب البزازية.

وليس فيها ما ذكره من الكلام، والظاهر أن كلامه هذا هنا في هذا المحل في شأن السماع المحرم الذي تفعله الفسقة حال فسقتهم ورقصهم المحرم بالغناء المحرم، لا في شأن سماع الصوفية على ذكر الله تعالى، ولكن المنكرون يخلطون السماع لسماع ولا يميزون بين الحلال بالاتفاق والحام بالإجماع. ولا يعرف الفرق بينهما إلا أهل التحقيق والاطلاع. وقوله في السؤال وقال الطحاوي دوران الصوفية حرام والحضور معهم حرام. وقال صاحب جامع الفتاوى دوران الصوفية حرام لو استحلوا ذلك كفروا. وقال الطرسوسي دورانهم رقص أحدثه السامري أولاً فهو هو حرام بالاتفاق وتشبه بالكفرة الضالين،

فإن أراد بالدوران ما تفعله فقراء الدراويش في طريق المولوية فهو رقص الصوفية وتواجدهم.

وقد ذكرنا فيما مضى حكم ذلك وأنه جائز وله أصل في السنة في رقص جعفر بن أبي طالب عليه السلام لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم (أشبهت خلقي وخلقي) ⁽¹⁾ كما قدمناه. وهلا كان تشبيه الذاكرين الله كثيراً بالملائكة الطائفين حول العرش وهم سبعون ألف صف جرد مرد، يرقصون ويتواجدون كل واحد منهم قد أخذ بيد صاحبه، يقولون بأعلى أصواتهم من مثلنا وأنت ربنا من مثلنا، وأنت حبيينا، وذلك دأبهم إلى يوم القيامة كما قدمناه في رواية النقاش، فإن تشبيه أهل الذكر بهم أولى وأحق من تشبيههم بعباد العجل الكافرين بالله تعالى، وكيف يسوغ لمسلم أن يشبه ذكر الله تعالى بكفر الكافرين، ويشبه الذاكرين لله تعالى بالكافرين به سبحانه؟!.

على أن هذه النقول المذكورة عن الطحاوي وعن صاحب جامع الفتاوى وعن الطرسوسي أمور باطلة غير صحيحة، وهي كذب وافتراء على العلماء أئمة الدين، فإن من يكذب على الله تعالى ورسوله بتحريم ما لم يجرمه وبالنهي عن عبادته تعالى، بل عن أفضل عباداته وهو ذكره تعالى، ويكذب على نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه الكرام، يسهل عليه الكذب على علماء الملة الإسلامية .

وعلى فرض صحة النقل عنهم فلعل مرادهم صوفية مخصوصون في زمانهم اطلعوا عليهم إنهم يرقصون بالتثني والتكسر كفعل الفسقة في حال الفسق مع

(1) صحيح البخاري (2699) - ج 3 ص 184. (4251) - باب عمرة القضاء - ج 5 ص 141. وهو حديث طويل. صحيح.

الغناء المناسب لأفعال الفسق، وعلموا أنهم يتخذون ذلك عبادة لا عادة، وإلا فكيف يتصور ممن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحكم بأن الخشوع القلبي بذكر الله تعالى منكر حرام.

وقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]. فإن صاحب الخشوع القلبي والوجل بذكر الله تعالى قد يغيب عقله عن احترام الناس، واعتبار أهل المجلس، فيقوم ويدور ويتواجد وربما ينصرع إلى الأرض على حسب قوة استعداده لتحمل الواردات الإلهية عليه، فهو في طاعة وعبادة من غير شبهة عند أحد من عامة أهل الإسلام والإيمان، فضلاً عن غيرهم من العلماء والأعيان، ولا يجوز حمل كلام العلماء على معاني سوء الظن في جميع الصوفية الموجودين في زمانهم، والذين ليسوا بموجودين في زمانهم ممن هم الآن في هذا الزمان، وإلا كانوا يقولون ذكر الله تعالى واجتماع الناس عليه من جميع الصوفية والخشوع فيه بالقلب وبالجوارح، وإن أدى ذلك الخشوع إلى الحركات الغير مضبوطة حرام منكر يكفر مستحله، ولو قالوا ذلك لحكمنا بكفرهم وقلنا إنهم حكموا بتحريم ما هو طاعة بإجماع المسلمين، وهو ذكر الله تعالى المأمور به في الكتاب والسنة وعليه إجماع الأمة، بل عليه اعتقاد جميع الملل بأن ذكر الله تعالى عبادة وطاعة خصوصاً في المساجد التي بنيت لذكر الله والصلاة فلا يمنع الذاكر فيها على كل حال.

والحاصل أن أصحاب هذه النقول من الفقهاء إذا أساءوا ظنونهم في طائفة من الصوفية، فحملوا أحوالهم في ذكر الله تعالى على اللهو واللعب، وطعنوا في

شأنهم مما يعلم الله تعالى، لا يلزمنا نحن أن نتبعهم في سوء الظن في كل أهل الذكر في جميع الأزمان، ونرتكب هذه المعصية كما ارتكبوها هم، ونعتقد أنها طاعة. وقد قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِتْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]. فإن سوء الظن بالمسلم حرام قطعي، والتأويل واجب في أفعاله وأقواله كما قاله العلماء. والسمع عند طائفة الصوفية غير السماع عند الفقهاء من علماء الأحكام الشرعية، فإن طائفة الصوفية قلوبهم فارغة من سوء الظن في أحد من البرية والفقهاء، قلوبهم مملوءة من سوء الظنون واتهام الناس بما يكون منهم وما لا يكون، ودأبهم التنقيب على أهل الإسلام والتفتيش عليهم في كل حلال وحرام، ويتعللون بأن علومهم لحفظ الأمة من الضلال، فيتسلطون بها على الناس خائفين من ذنوب الناس لا من ذنوب أنفسهم القبيحة الفعال، والله أعلم بحقائق الأحوال.

وقد روى الطبراني عن بريدة رضي الله عنه قال صلينا الظهر خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انفتل من صلاته أقبل علينا غضبان فنادى بصوت أسمع العواتق في أجواف الخدور فقال: يا معشر من أسلم ولم يدخل الإسلام في قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تطلبوا عوراتهم، فإن من طلب عورة أخيه المسلم هتك ستره وأبدى عورته ولو كان في ستر بيته^(١).

ذكره الشيخ إبراهيم الكوراني في كتابه في الجهر بالذكر وشأن الفقيه تحصيل الوظائف الدينية والمواظبة عليها بقصد المعيشة واكتساب الأموال الدنيوية، فهو يأكل بدينه والله أعلم بإيمانه ويقينه، كما هو حال فقهاءنا في هذا الزمان

(١) الطبراني في ((الأوسط)) (2936) - باب من اسمه إبراهيم- ج3 ص 207.

وصلحاء هذا الوقت والأوان. ورحم الله تعالى الإمام الجليل أحمد بن حنبل
 حيث قال وصدق في المقال: لئن تطلب الدنيا بالدف والمزامير خير من أن
 تطلبها بدينك. ذكر ذلك الشيخ عبد الرؤوف المناوي في طبقات الأولياء،
 وهذا لعمري شأن المتفقهة في المذاهب فأين هم وأين طائفة الصوفية المشتغلين
 بأنفسهم عن غيرهم، يسعون في إنقاذها من المهالك الدينية، ويعلمون أن الأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه العموم في جميع البرية، فلا يجدون أحداً
 مرتكباً معصية ليخصصوه بالإنكار، لعدم الالتباس عليهم والوسواس من
 حسن ظنهم بالأمة التي قال تعالى عنهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل
 عِمْرَانَ : ١١٠]. وقال تعالى على وجه الملاطفة والإيناس: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً
 وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البَقَرَةَ : ١٤٣]. فأين الفقيه؟ وأين الصوفي؟ وأين
 من ابتلي بوساوس الشيطان؟ وأين من عوفي من ذلك؟!

وأخرج السلفي في الطيوريات عن العتيقي عن الطرسوسي عن الطبراني
 عن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه قال سمعت أبي يقول: وقد قيل له إن
 هؤلاء الصوفية قعدوا في المساجد على التوكل بغير علم. قال العلم أقعدهم.
 قيل له فإن همتهم كسرة وخرقة. قال لا أعلم أعظم عذراً ممن هذا صفته.

وقد قيل له ان هولاء الصوفية قد واثى المساجد على التوكل
 بغير علم قال العلم اقدم قيل له فان همهم كسرة وخرقة قال لا اعلم
 اعظم عذرا ممن هذا اصفه قيل فانهم اذ اسمعوا السماع يقولون
 في قصون قال دعهم يعرفون برههم ذكره المناوي في طبقات الاول
 في ترجمة الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ورواه في هذا الفقيه
 الكامل العالم العامل ولقد اصف والله في مقاله وكشف عن صدق
 وحسن حاله فان الصوفي ولو كان عاميا في وقت السماع عند ذكر
 الله تعالى فيهم اشارة ربه له بافاده اخير من كل كلام ومن المعاني
 الالهية في انشاء كل نظام وما ذاك الا من فراغ قلبه وسلامته حيا
 وعقله ولبه فهو مشغول بحاله وصدق نيته ومقاله ولنا في مطلع
 قصيدة مختاطب بها الفقيه على لسان الصوفي مما هو في ديوان
 وضايدنا الفرية لو تجلى عن ناظريك العباد لرأيت الكورس كيف تدار
 ولبانت نار لديك كما بان لموسى من جانب الطور نار
 ولزالت رسوم دانتك فيمن لم يزل وانحت به الانار
 وتبدلت فريده الحسن تجلى زابلات عز وجهها الجناد
 ورأيت الهدى وارشدك الدف ووصو الغناء والمغار
 لكن القلب منك في عفلات وعلى وجهك الكيف حمار
 ويعينان التكاثر لها لك وعزت بوجهك الآثار
 ورميتك الذنوب في ظلام من شكوكها العقول تحار
 قال الشيخ الامام العارف المحقق ابو عبد الله عمر بن محمد بن عبد
 ابن سعد بن الحسين بن المضر بن القاسم بن عبد الله بن عبد الرحمن
 ابن القاسم بن محمد بن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى بكر الصد
 المعروف بالسهروردي البكري الصديقي قدس الله سره في كتابه

ك
ليا

نار

الاغنياء

يق

قيل فإنهم إذا سمعوا السماع يقومون فيرقصون. قال دعهم يفرحون بربهم.
ذكره المناوي في طبقات الأولياء في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله، والله در هذا
الفقيه الكامل العالم العامل. ولقد أنصف والله في مقاله وكشف عن صدقه
وحسن حاله. فإن الصوفي ولو كان عامياً في وقت السماع عند ذكر الله تعالى
يفهم إشارة ربه له، بإفادة الخير من كل كلام ومن المعاني الإلهية في إنشاد كل
نظام، وما ذاك إلا من فراغ قلبه وسلامة خاطره وعقله ولبه، فهو مشغول
بحاله وصدق نيته ومقاله. ولنا في مطلع قصيدة يخاطب بها الفقيه على لسان
الصوفي مما هو في ديوان قصائدنا الفريدة:

لو تجلى عن ناظريك الغبارُ

لرأيت الكؤوس كيف تدارُ

ولبانت نار لديك كما با

نت لموسى من جانب الطور

ولزالت رسوم ذاتك فيمن

لم يزل وانمحت به الآثارُ

وتبدت فريدة الحسن تُجلى

زائلات عن وجهها الأستارُ

ورأيت الهدى وأرشدك الد

فُ وصوت الغناء والمزمارُ

لكن القلب منك في

وعلى وجهك الكثيف خمار

ويقيناً إن التكاثر أهما

ك وعزت بوجهك الأغيار

ورمتك الذنوب في ظلمات

من شكوكٍ بها العقول تحار

قال الشيخ الإمام العارف المحقق أبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله بن سعد بن الحسين بن النضر بن القاسم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق المعروف بالسهروردي البكري الصديقي قدس الله سره في كتابه عوارف المعارف في شرح أحوال المشايخ الصوفية في باب تخصيص الصوفية بحسن الاستماع، قال أساس كل خير حسن الاستماع . قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]..

يقول بعضهم: علامة الخير في السماع أن يسمع العبد بغناء أوصافه ونعوته ويشهد بحق من حق. وقال بعضهم: لو علمهم أهلاً للسمع لفتح آذانهم للاستماع.

فمن تملكه الوسواس وغلب على باطنه حديث النفس لا يقدر على حسن الاستماع، فالصوفية وأهل القرب لما علموا أن كلام الله تعالى رسائله إلى عباده ومخاطباته إياهم رأوا كل آية من كلام الله بحراً من أبحر العلم، بما تتضمن من ظاهر العلم وباطنه وجليه وخفيه، وباباً من أبواب الجنة، باعتبار ما تبثه أو

تدعو إليه من العمل. ورأوا كلام رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى من عند الله يتعين الاستماع، فكان من أهم ما عندهم الاستعداد للاستماع.

ورأوا أن حسن الاستماع قرع باب الملكوت واستنزال بركة الرغبت والرهبوت. ورأوا أن الوسوس أوخنة نائرة من نار النفس الأمارة بالسوء، وقنام يتراكم من نفث الشيطان، وأن الحظوظ العاجلة والأقسام الدنيوية التي هي مناط الهوى ومثار الردى بمثابة الحطب الذي تزداد النار به تأججاً، ويزداد القلب به تحرجاً فرفضوا الدنيا وزهدوا فيها، فلما انقطعت عن نار النفس أخطأها وفترت نيرانها وقل دخانها شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم فهيئوا مواردنا بصفاء الفهم، فلما شهدوا سمعوا قال الله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧ - ٣٨]. انتهى.

واعلم أن التصوف مقام جليل وحال جميل وأهله في زماننا بل في كل زمان قليل.

قال الإمام القشيري رحمه الله في رسالته المشهورة سمعت محمد بن محمد بن يحيى الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول سئل أبو محمد الحريري رحمه الله تعالى عن التصوف فقال الدخول في كل خلق سني والخروج عن كل خلق دني. سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن عمار الهمداني يقول سمعت أبا محمد المرعشي يقول سئل شيخي عن التصوف فقال سمعت الجنيد، وقد سئل عنه فقال هو أن يمسك الحق عنك ويحببك به، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت عبد

الواحد بن عمر الفارسي يقول سمعت أبا الفاتك يقول سمعت الحسين بن منصور، وقد سئل عن الصوفي فقال وحداني الذات لا يقبله أحد ولا يقبل أحداً، وسمعه يقول سمعت عبد الله بن محمد يقول سمعت جنيد بن محمد بن نصر يقول سمعت أبا علي الوراق يقول سمعت أبا حمزة البغدادي يقول علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغناء ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة، وعلامة الصوفي الكاذب أن يستغني بعد الفقر ويعز بعد الذل ويشتهر بعد الخفاء. وقال محمد بن علي القصاب التصوف أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام.

وسئل سحنون عن التصوف فقال ألا يملك شيئاً ولا يملكه. وسئل دويم عن التصوف فقال استرسال النفس مع الله على ما يريد. وسئل الجنيد عن التصوف فقال أن تكون مع الله بلا علاقة. وقال دويم بن أحمد البغدادي التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والإيثار وترك التعرض والاختيار. وقال معروف الكرخي التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق. وقال الجنيد التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع. وقال أيضاً الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها الأكل ملبح. وقال أيضاً إنه كالأرض يطؤها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالقطر يسقي كل شيء. وقال الحريري التصوف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب. وقال القشيري في رسالته بناء هذا الأمر وملاكه على حفظ آداب الشريعة وهو صرف اليد عن المد إلى الحرام والشبهة مثلاً وحفظ الحواس عن المحظورات، وعد الأنفاس مع الله عن

الغفلات وألا تستحل مثلاً سمة فيها شبهة في أوان الضرورات فكيف عند الاختيار ووقت الراحة. انتهى

واعلم أن آداب المشايخ كثيرة وهي مجموعة في متابعة الشريعة المحمدية ظاهراً وباطناً على حسب القدرة والاستطاعة في ترك كل منهي وإتيان كل طاعة. قال العارف السهروردي في عوارف المعارف الصوفية أوفر الناس حظاً من الاقتداء برسول الله ﷺ وأحقهم بإحياء سنته والتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ من حسن الاقتداء به، وإحياء سنته.

روى الترمذي بسنده عن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك قال لي رسول الله ﷺ: يا بني إن قدرت أن تصبح وتمشي وليس في قلبك غش لأحد فافعل، ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحياي ومن أحياي كان معي في الجنة⁽¹⁾.

قال السهروردي ومن أحسن أخلاق الصوفية التواضع ومن رزق هذا فقد استراح وأراح وما يعقلها إلا العالمون. وقال يحيى بن معاذ التواضع حسن ولكن في الأغنياء أحسن والتكبر سمج في الخلق ولكن في الفقراء اسمج. وقال ذو النون ثلاثة من علامات التواضع تصغير النفس معرفة بالعيب وتعظيم الناس حرمة للتوحيد وقبول الحق والنصيحة من كل أحد، ومن آداب المشايخ المداراة مع كل أحد من الأهل والأولاد والجيران والأصحاب والخلق كافة. قال ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (المؤمن الذي

(1) أبو يعلى (3624)-ج6 ص306-309، والطبراني - المعجم الأوسط- (9439) باب من اسمه محمد. باختلاف.

يعاشر الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم⁽¹⁾، ومن آدابهم التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة بأن تحسن إلى من أساء إليك، فإن الإحسان إلى المحسن متاجرة كنفد السوق خذ شيئاً وهات شيئاً. وقال الحسن عليه السلام الإحسان أن تعم ولا تخص كالشمس والرياح والغيث. ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من مكارم الأخلاق أن تعفو عن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك)⁽²⁾، ومن آدابهم البشر وطلاقة الوجه مع الناس والسهولة ولين الجانب والنزول مع الناس إلى أخلاقهم وطباعهم وترك التعسف والتكلف، ومن آدابهم الإنفاق من غير اقتار وترك الادخار والقناعة باليسير من الدنيا.

قال ذو النون من قنع استراح من أهل زمانه واستطاع على أقرانه وقال بشر بن الحارث لو لم يكن في القناعة إلا التمتع بالعز لكفى صاحبه، ومن آدابهم ترك المراء والمجادلة والغضب إلا بحق واعتماد الرفق والحلم، ومن آدابهم التودد والتآلف والموافقة مع الإخوان وترك المخالفة. قال الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

ومن آدابهم شكر المحسن على الإحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر عن الأغيار ورويتهم النعم من المنعم الجبار، ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد أن

(1) ابن ماجه (4032)، مسند الإمام أحمد (5022) - ج 9 ص 64 .

(2) الخطيب في (تاريخ بغداد) ((2/ 179))، وابن الجوزي في ((صفة التصوف)) (637).

رسول الله ﷺ خطب فقال: ما من أحد أمن علينا في صحبته وذات يده من ابن أبي قحافة ولو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر خليلاً، وقال ما نفعني مال كمال أبي بكر.

ومن آدابهم المحافظة على أحكام العبادات بعد معرفتها وحضور القلب في الوضوء عند غسل الأعضاء.

قال بعض الصالحين إذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة وإذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة في الصلاة.

ومن آدابهم استدامة الوضوء فالوضوء سلاح المؤمن والجوارح إذا كانت في حماية الوضوء الذي هو أثر شرعي يقل طروق الشيطان عليها. وقال أنس بن مالك رضي الله عنه قدم النبي ﷺ وأنا يومئذ ابن ثماني سنين فقال لي: يا بني إن استطعت ألا تزال على الطهارة فافعل فإنه من أتاه الموت وهو على الوضوء أعطى الشهادة، ومن آدابهم حضور القلب في سائر العبادات والطاعات وألا يكون في الصلاة مشغول القلب بشيء قل أو كثر، لأن الأكياس لم يرفضوا الدنيا إلا ليقيموا الصلاة كما أمروا وآداب الشريعة معلومة على التفصيل في كتب الفقه في المذاهب الأربعة فلا يحتاج أن نذكرها في هذه الرسالة المختصرة، ومن آداب المشايخ أن يعلموها ويعملوا بها على حسب مذهب من المذاهب بحسب القدرة والاستطاعة من غير حرج عليهم في ذلك بالقراءة أو السؤال أو التعلم ممن يعلم ذلك، ومن آداب المشايخ دوام الصبر والشكر والخوف والرجاء والتوكل على الله تعالى والرضا عن الله تعالى والحياء منه، ودوام مراقبته وعدم الغفلة عنه اليقين به وبوعده الحق والاستقامة على ذلك.

وأما الجواب عن معنى التواجد الواقع الآن من فقراء الشيخ الكامل العالم العامل الشيخ أحمد الرفاعي قدس سره، وفقراء الشيخ سعد الدين الجبائوي أعز الله أعلامه وأعلى ذكره ومقامه، فقد سئل عن ذلك قطب الزمان وعين الأعيان الشيخ محمد بن محمد بن محمد البكري الصديقي، فأجاب بما ملخصه النصر الإلهية للطائفة السعدية، ومثلها الطائفة الرفاعية بسم الله الرحمن الرحيم، ما قولكم رضي الله عنكم في جماعة من فقراء الشيخ سعد الدين الجبائوي يذكرون الله تعالى في غالب أوقاتهم، فإذا طاب لهم الوقت يتواجدون ويضطربون، فمنهم من لا يستطيع الوقوف على الأرض لشدة تواجده فيسقط على الأرض لوقته، فيصير كالخشب الملقاة ولا يستطيع القيام حتى يأتيه نقيب الشيخ يكبس يديه ورجليه ويقيمه على بركات شيخه، ومنهم من تخرج من يديه وبقيته جسده إشارة حمراء أو صفراء أو بيضاء على ألوان مختلفة تسيل كالعرق الذي يخرج من الجسد من غير جرح ولا منفذ، بل هو كرامة من كرامات الشيخ المذكور، فهل يجوز الإنكار على من هذه صفتهم؟ وهل الإشارة المذكورة ظاهرة أو نجسة؟ فأجاب الشيخ الإمام أبو بكر محمد زين العابدين البكري الصديقي قدس الله سره وجعل في أعلى عليين مقره، الحمد لله الواسع العليم. اعلم أن كرامات الأولياء رضوان الله عليهم جائزة بالبراهين العقلية، ثابتة بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية، كما ذهب إلى ذلك جمهور المسلمين وأكابر الموحدين، ثم الولي هو العارف بالله تعالى وصفاته المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات، وكراماته ظهور أمر خارق للعادة من قبله أي أمر كان

غير مقارن لدعوى النبوة، وبهذا امتازت عن المعجزة وربما كان خرق العادة من قبل بعض العصاة استدراجاً من الله تعالى أو تأكيداً لكذبه، كما روي أن مسيلمة الكذاب دعا لأعور أن تصح عينه العوراء فصارت الصحيحة عوراء، ويسمى هذا إهانة، وربما كان خرق العادة من قبل عوام المسلمين تخليصاً لهم من المحن والمكاره، وتسمى معونة ولهذا قالوا الخوارق للعادة أربعة: معجزة وكرامة ومعونة وإهانة. هذا وإن لله عبادةً أحب أن يجلو على منصات قلوبهم عرائس توحيده، وأن ينبت في رياض نفوسهم غرائس تغريده فاختطفهم بسواطع لوامع احديته عن مقارفة الأوهام، واجتذبهم بأنوار صمديته إلى فضاء الإلهام، ثم ألقى عليهم حجاب العظمة والجلال وتبرقع عنهم ببراق العزة والكمال، فأطار ذلك قلوبهم شوقاً وقلقاً وأورى زناد الشوق في أفئدتهم عذاباً وحرقاً فأصبحوا حيارى، وما هم بحيارى، ولكن مهامه الغرام تضل فيها القطا وتقتصر عنها الخطا سكارى وما هم بسكارى، ولكن سلطان خمر المحبة استطل عليهم وسطاً، فإذا ذكروا محبوبهم هيم ذكره بلا بلهم واصدح على أفنان الآخراں بلا بلهم، ودبت نشوة خمر سكر الذكر في مفاصلهم وعروقهم وأشباحهم وبواطنهم ومعانيهم وأرواحهم فتساقطوا سكرًا، وانمحو ببوارق سبحات الجمال عن الركون إلى الدنيا والاحتجاب بالأخرى، وهم في تلك الأحوال بين واحد أخذته الأحدية أخذة رابية وصرعته ولم تبق فيه من باقية، وآخر لما طغى ماء الوجد حملته العناية إلى سفن التمكين الجادية، وآخر لما أخذ بلوامع الأساء في مشارق أنوار التجلي أخذ منها بسواطع أضواء الصفات من آفاق التدلي، ثم أخذ من الحضرتين إلى نفي الاثنين وزج به في نور

النور وأصبح وراء غيوب البطون وبراقع الظهور، ثم أعيد للعبيد بالمزيد مظهرًا قدميا بجميع تصرفات من يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ثم أطل المقال في هذا المجال وشرح مقام المرید ومقام المراد وكشف عن حقيقة كل واحد منهما بحسب ما عنده من الاستعداد، ثم قال ولعمر الله لا ينكر أحوال هذه الطائفة إلا كل مغتر كفور قد غره بالله الغرور، هذا أوان الإشارة المسؤول عنها كرامة باهرة وآية ظاهرة، حيث كانت أنوارها مشرقة من سما نفوس لا تعدل عن اتباع الشريعة ولا تأوي إلا إلى حصونها المنيعة، وإن حصلت لمن يخلط له بالعصبات في بعض الأحيان، فالكرامة لأستاده ظهرت عليه لطيب قلبه من ذلك الوقت بنظر الله إليه، وحكم هذه الإشارة الطهارة، فإنها ليست من منفذ ولا من جرح، بل هي لصدق هذه الطائفة إشادة، والله يعلم المفسد من المصلح والمخسر من المربح، والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعد محمد وآله الطيبين وأصحابه الطاهرين وتابعيهم إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

وقال الشهاب بن حجر المكي في كتابه الفتاوى الحديثية وقد سئل عن جماعة فقراء دخلوا مسجدًا ودخل وقت الظهر فصلوا الظهر جماعة وصلوا السنن، ثم تحلقوا يدرسون كتاب الله تعالى، وقام واحد منهم يدعو والباقون يؤمنون، ثم ذكروا الله تعالى فصغت قلوبهم واحترقت وفنيت بدوام الذكر الأجزاء الخبيثة منهم، وبقيت الطيبة مع طيب الوقت، فمنهم خاضع وخاشع وباك وساقط مغشى عليه، وبعضهم يقهره الحال حتى يظهر من باطنه خفقان واضطراب فتتحرك بسببه الأعضاء الظاهرة بكيفيات لا يعقلها ولا يرضى بها

باختياره بل ولا يقدر على دفعها، فهل هذا الإنسان الأحسن في أمره أنه متى استشعر بهذا الأمر يخرج من ذلك المكان أم يتصبر فيه كيفما أظهره حكم الوقت ويبقى في لذته بذكر الله تعالى فإنه قد يشعر بالذكر والقول وقد يغيب عن الذكر والقول، فهل يعدون هذه الحالة من أسباب الحدث قياساً على الإغماء أم لا قياساً على النعاس أم كيف؟ افتونا جزاكم الله الجنة.

فأجاب رحمه الله تعالى الأحسن لمن أمن على نفسه الرياء لما أنها اتصفت وتصفت عن كدوراتها وعرفت عن شهواتها ومألوفاتها، وتجلي عليها وارد الحق وتحلت بمعاني الصدق فانقشع عن سماء سرها سحب الأكدار، وتمزقت عين بصيرتها حجب الأغيار فأخلصت لوجهه تعالى، وقامت بباهر الأدب بين يديه ولم تشهد سواه ولا خطر بسرها إلا إياه لوصولها إلى غاية مقام الإحسان الموجب لانضمام العيان إلى البرهان ألا يخرج نفسه عن هذه الحضرة العلية المواهب الاختصاصية الزكية، بل يستديم استجلاء تلك الأنوار واستكساب هذه الأسرار حتى يمتلئ الإهاب ويسمع لذيذ الخطاب ويصير معنياً من معنيات الحق تعالى التي أظهرها هداية للعباد وإيضاحاً لسبيل الرشاد، وكيف يسوغ لمن تأهل للوصول إلى هذا الطود الشامخ والمقام الباذخ وحقائق الأناقة ومعاني الخلافة وشهود العيان والتنجيز⁽¹⁾ في سوابغ الامتتان أن ينزل عن معالي تلك الكمالات و عوارف هذه المنازلات إلى حضيض الإعراض والوقوف مع دنى الإعراض، بل عليه أن يستسلم لما أقامه فيه الحق من على عبادته بين أهل محبته وإرادته، مستمطراً ما يفتح به عليه من ينابيع الحكم والمعارف، ومتأهباً

(1) التَّنْجِيز: تأتي بمعنى: إتمام الشيء، تعجيله، تنفيذه فوراً. وفي كتب الفقه قد تأتي بمعنى: الإنجاز الفوري بدون تأجيل.

متأهلاً لنفحات الحق التي أمرنا بالتعرض لها ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً، ومعرضاً عن قول الوشاة القاصرين والطغاة المحجوبين، سواء اختلت تلك الحضرة بذهابه أو لا، لما بات وظهر أن المقام أحرى وأولى، وليحذر كل الحذر من النظر إلى الخلق، فإن من نظر إليهم بعين بصره أو بصيرته ساء فعله وحق طرده، وكشف حجابهِ ودام عذابه، ولم يظفر من أعماله إلا بتمويه باطل وحال حائل ووصف مضمحل زائل، وحينئذ يستولى عليه نفسه وشيطانه فيلبسان عليه أحواله ويزينان عنده كماله فتزل قدمه ويحق ندمه، وإذا ثبت هذا المرید أو المراد كما أشرنا متحلياً بصدقه وتقواه إلى أن استحکم فيه هذا الوارد وأخرجه عن حيز الصحو إلى غمرة تلك الموارد، فتارة يضعف عن قبول أعباء ما فاجأه من باهر الأنوار الموجبة لاستتار العقل بها أتم الاستتار، فيكون كالنائم بل هو أشد منه استغراقاً، فلا شك حينئذ في انتقاض وضوئه وإن لم يكن وفاقاً لزوال الشعور من أصله بواسطة ما استولى على عقله، لكننا لا نجعله كالإغماء لأنه مرض يستولي على العقل فيذهله ويعطل إداركه وتحليه ومن ثم احتاج إلى العلاج غالباً، ولم يكن منهم من قام به لغرضه صائباً.

وأما الغيبة التي كلامنا فيها فالعقل معها باقٍ على كماله وإنما عرض له ما يقهره فأخرجه عن حيز الاعتدال لاستغراقه في أنوار الشهود ودخوله عن الوجود، وتارة لا يضعف عن قبول ذلك لألفة تلك الوارد وغوصه عمرة هذه المسالك، فحينئذ لا يغيب عن إدراك عقله ولا يذهل عن محله، وإنما غاية ما يحصل له نوع ذهول فهو كالناعس إذ هو عن سماع مجرد الصوت غير مخبول، وكل من كان على هذا القانون فوضوءه باقٍ وإن لم يفهم ما سمعه ولا يشعر بها

صنعه هذا كله حيث تيقن ما يرد عليه وعرف وصفه وما يحصل معه. وأما إذا عرض له ما لم يعرف وصفاً مما ذكرناه وإنما شك هل ثم استيلاء عليه وكان كالنائم أولاً، فكان كالناعس فلا ينتفض وضوءه كما شرطناه، عن أن الأصل بقاء طهوره ودوام أصل تمييزه وفهمه سيما والغالب على أرباب الأحوال بقاء شعورهم معها وعدم انحرافهم عن سنن الكمال قدس الله تعالى أرواحهم ونور معالمهم وضرائحهم، وأعاد علينا من بركاتهم وأذاقنا حلاوة إشاراتهم وألحقنا بهم عن التحلي بأشرف المعارف وأكمل المتالد والمطارف، أنه أكرم كريم وأرحم رحيم.

وذكر العلامة أبو الطيب الغزي رحمه الله تعالى في رسالة لخصها وسماها الربانية في بيان الطريقة السعدية في رسالة سابقة للشيخ الإمام شمس الدين محمد بن الشيخ زين الدين عمر السعدي الحلبي، رحمه الله تعالى، سماها الرسالة المحمدية في الرد عن السادة السعدية وجعلها على أبواب خمسة وخاتمة، وذكر في الباب الرابع منها قال في ذكر طرف يسير من فتاوى علماء الإسلام فيما يقع من فقراء مشايخنا في الذكر، وما يقع فيه من تغيير ألفاظ من العوام ورفع سؤال لشيخ الإسلام والمسلمين سيدي الشيخ شمس الدين محمد الكفرسوسي رحمه الله تعالى صورته، ما تقول علماء الإسلام والمسلمين نفع الله بهم في الدنيا والدين في السيد الجليل سيدي الشيخ سعد، جعلنا الله من أتباعه المفلحين وفي فقرائه الصادقين المنتسبين إليه الآخذين العهد على يديه إذا قوي الوجد على أحدهم، وترادفت عليه حالات أشياخه من فيض مددهم وقع على الأرض كالخشب من غير تصنع منهم، ولا ريب لكنه لا يغيب عن حسه من

حاله الذي ألم بأطرافه ونفسه ويخرج من بعضهم عرض ملون من أبيض وأصفر وأحمر يقال له إشارة وهو فيهم ومنهم معين فهل هو نجس أو طاهر؟ وهل يجوز الإنكار عليهم في الظاهر؟ فأجاب رحمه الله تعالى بقوله: العرق ليس بنجس والفقراء أخبر بأنفسهم من غيرهم عند سقوطهم، ولا يجوز التفكه في أعراضهم ولا الاستهزاء بهم، ويعزر من تعرض لهم بذلك التعزير الشديد اللائق به من الضرب والحبس الرادع له ولأمثاله عن الوقعة في أعراضهم مع سقوطه من أعين الرجال، وانقلاب قلوبهم عليه لتغير الأحوال. ومن المجريات التي أخبر بها علماءنا الأقدمون أن من أطلق لسانه فيهم بالفجور لا يصيب خيراً في نفسه ولا في ذريته من بعده، ويجب حمل المسلم على السداد ما أمكن سيما إذا خلا فعلهم عن التصنع وحاشاهم من ذلك، وأوصيهم ونفسي بالخلاص والإخلاص، والله في خلقه أسرار يجب الأدب معها لما ورد في الخبر المأثور أن للعلماء سرّاً وللأنبياء سرّاً وللأملاك سرّاً والله تعالى سرّاً، فلو اطلع الجهال على سر العلماء لأبادوهم، ولو اطلع العلماء على سر الأنبياء لنابذوهم، ولو اطلع الملائكة على سر الله تعالى لطاحوا حائرين.

وهذا لأن العقول الضعيفة لا تحمل الأسرار القوية، كما لا يحمل نور الشمس أبصار الخفافيش، فسبحان من فaut بين العقول وخص كلاً بما أراد والله سبحانه أعلم.

ورفع سؤال أيضاً للشيخ الإمام سيدي برهان الدين العمادي الحلبي رحمه الله تعالى صورته ما تقول العلماء أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين في الفقراء،

الذين يذكرون الله تعالى جملة واحدة بألحان مختلفة ومقامات مؤتلفة، تروى للمبتدئ وتعظيماً لذكر الله تعالى بالمد في غير محله، وفي بعض الأحيان يقع منهم من غير قصد زيادة ولا نقصان عند اشتغالهم بالمعنى من حصول خوف أو هيبة أو شوق، فهل يجوز الإنكار عليهم أم لا وهل يَأثم المنكر أم لا؟ ثم من ينسبهم بسبب ذلك إلى الكفر هل هو مخطئ أم لا؟ ومن كفر أخاه المسلم بغير تأويل هل هو كافر ويجب عليه تجديد الإسلام والتوبة من ذلك أم لا؟ وكيف يصير الحكم في نكاحه؟ وهل ورد المد في غير محل التعظيم أو لئلا يبقى فعل من أفعال الصلاة بلا ذكر، وربما يدرجون في الذكر التوحيد لا إله إلا الله لفظ هو أو الله الدائم أو يا لطيف أو أحد إلى غير ذلك من أسماء الله تعالى، وربما يقول أحدهم يا شيخني أو محمد أو حبيبي أو لا إله إلا الله لقصد التأكيد به.

فأجاب رحمه الله تعالى الحمد لله الموفق للصواب لا يجوز الإنكار عليهم، ومن أنكر عليهم من غير إقرار منهم أنهم يتعمدون ذلك بنية القراءة للقرآن العظيم فهو مخطئ مجازف في دين الإسلام، فيستحق التأديب والمنع من التكلم في العلم الشريف من غير تأمل وتبصر وتحقيق وتكفيره كفر منه، فيجب عليه تجديد إسلام، وكذا نكاحه إن لم يدخل بها، وكذا إن دخل بها عند الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، فلقد ورد في الحديث الصحيح أن من كفر أحداً بلا تأويل فقد كفر.

وقد ورد المد الطويل عن حمزة أحد القراء السبعة في الم، وكذا قال الفقهاء يستحب تطويل تكبيرات الانتقالات في الصلاة إلى أن يصل إلى الركن الذي بعد الذي هو فيه لئلا يخلو فعل من أفعال الصلاة عن قول.

وورد أن الله ﷻ خلق ملكاً ابتداءً يقول لا إله إلا الله لا ينتهي من قولها إلى يوم القيامة. والاعتراض وارد في الكتاب والسنة وكلام العرب وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو آخره بما ليس منه، وكذلك التأكيد واقع فأهل العلم المؤيدون من الله تعالى بالتوفيق للصواب لا تخفى عليهم هذه الأحوال، والعبرة بهم لا بالمتكرين المتعصبين الجاهلين القاصدين صرف وجوه الناس إليهم لأمر من الحظوظ النفسية، فإذا أدخل كلمة بين كلمتين فأكثر أو كرر اللفظ تأكيداً أو وقع منه غفلة بحالة من الأحوال المغيرة للشعور و العلم فزاد أو نقص أو غير إعراباً أو قال (أآآآ) أو (هاهاها) أو (هي هي هي) أو نحو ذلك، فهو في هذه الحالة معدود في الذاكرين، صرح بذلك علماء الأمة المشهورون المهتدون المعتدون بالظاهر والباطن وإن قال في ذكره يا شيخي أو سماه باسمه فحسن، لأنه الوساطة بينه وبين ربه تعالى فإن مراعاة الألفاظ إنما تعتبر عند قيام البشرية، وأما عند فنائها فلا وإنما سبيل الذاكر في ذلك التسليم لوارده يتصرف فيه بما يريده، فالذاكر في حال ذكره مع ظهور البشرية لسانه مشغول بلا إله إلا الله وقلبه بلا معبود إلا الله، وعند خمود البشرية يقول بلسانه إلا الله وبقلبه لا مقصود إلا الله، وعند فناء البشرية يقول بلسانه لا إله إلا الله وبقلبه لا موجود إلا الله. وكلام الأئمة في ذلك مشهور. ثم قال في آخر كلامه فالمؤمن لا ينبغي له أن يكون في قلبه غل ولا غش للذين آمنوا، ولا ينبغي له أن يفضل نفسه على أحد، لأنه قد يختم له بسوء ويفوز الذي فضل نفسه عليه بحسن الخاتمة. فنسأل الله تعالى السلامة والتوفيق لما يحب ويرضى من القول والعمل في عافية بلا محنة إنه على كل شيء قدير.

ومن فتاوى شيخ الإسلام والمسلمين وإمام أهل الملة والدين سيدي الشيخ
أبي الحسن أحمد شهاب الدين البكري رحمه الله تعالى قوله:

الحمد لله الهادي إلى سبيل الرشاد الموفق للحق وطريق السداد الذكر بعد
النفي والإثبات جائز كيفما وقع، كما ذكره الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في لفظ
آه هو الله ها هي هو أوا، وذلك لأن الفقير إذا سلب اختياره جاز له أن يذكر
الله تعالى كيفما اتفق، لأن من لذيد الخطاب رفع العتاب.

قال ﷺ: أدبني ربي فأحس تأديبي. قال يا محمد لا واسطة بيني وبينك ولا
حجاب ولا احتجاب.

وذكر صاحب ربحانة القلوب أن الفقير إذا توجه للذكر إن كان جاهلاً أو
عارفاً فهو إلى الله، وإن صاح أو ناح أو باح أو سقط أو لهج فلا يحرم ذلك
أصلاً، بل ولا يكره لأن المبنى على الذكر.

ذكر روي أن بعض الصالحين رأى النبي ﷺ في النوم فقال يا رسول الله
أهذه الموالد التي تقرأ لك أتسرك؟ قال نعم، من فرح بنا فرحنا به.
وأنا أكفر من حرم الذكر كما تقدم بعد النفي والإثبات كيفما كان. قال الله
تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

وكيفما قصد الفقير الذكر فهو ذاكر يجازى على ذلك ويثاب.
وأما الصراخ فقد نص القرآن العزيز أن موسى ﷺ خرّ صعقاً من هيبة
تجلي الحق تعالى.

وأما الإنشاد فليس بحرام لأن شاعر رسول الله ﷺ كان ينشد بين يديه،
وكان له حاد يقال له أنجشة يحدي فيهم الإبل، فقال له النبي ﷺ: يا أنجشة
رويدك سوقاً بالقوارير.

وفي حديث سلمة بن الأكوع خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع ألا تسمعنا من هنياتك. وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل يحدو بالقوم ويقول:

والله لولا الله ما اهتدينا... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكيناً علينا... وثبتت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله ﷺ من هذا السائق؟ فقالوا عامر بن الأكوع. فقال رسول

الله ﷺ يرحمه الله⁽¹⁾.

فيجب على المنكر أن يتوب إلى الله تعالى من إنكاره وإلا يسقط من عين الله تعالى، ويجب على ولاة الأمور أن يجازوه على قبيح إنكاره بتشديد التعزير. والحمد لله وحده.

وقال مصنف الرسالة المتقدم ذكرها اعلم رحمنا الله تعالى وإياك أنه ينبغي لكل مسلم أن يكون حسن الاعتقاد في جميع السادة الصوفية، ومن خيارهم الطائفة السعدية فيواليهم بالمحبة والوداد بالصدق من صميم الفؤاد. فقد قال رسول الله ﷺ: (المرء مع من أحب)⁽²⁾.

هذا ومن تعرض لبعض أولياء الله تعالى أو سبهم أو أطلق لسانه بالإنكار عليهم فقد تهدف لمحاربة الله تعالى لقوله ﷺ فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال: (من آذى لي ولياً فقد آذني بالمحاربة)⁽³⁾.

(1) صحيح مسلم (1802) - باب غزاة خيبر - ج3 ص 1429. صحيح البخاري (6148) باختلاف يسير، والنسائي (3150) وأحمد (16503).

(2) صحيح البخاري (6168) - باب علامة حب الله عز وجل - ج8 ص 39، صحيح مسلم (2640) باب المرء مع من أحب - ج4 ص 2034 وهو جزء من حديث. صحيح.

(3) صحيح البخاري (6502) - باب التواضع - ج8 ص 105. باختلاف.

كذا أورده العارف سيدي عبد القادر بن حبيب الصفدي قال ﷺ: (ومن حاربه الله قصمه وأهلكه). ولا يشترط في الهلاك والقصم حلول ذلك بظاهر البدن والجسم، فقد لقي بعض المؤذنين لأولياء الله تعالى بفسحة مهلهم وعدم حضور أجلهم ويقول جاهلهم لو كان هذا ولياً لأهلكني وهلكت بسببه، فإن هلاكه بمجرد إيدائه حتم، لأن يكون سبق له في سابق علم الله عناية بتوفيق لتوبة أو بحفظ لصورة جسده وصورة جسمه لذرية طيبة قدر الله أن تخرج من صلبه، كما قال ﷺ لجبريل وملك الجبال حين عرض عليه أن يطبق على مشركي مكة الأخشين

فقال ﷺ: (أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً)⁽¹⁾. أو كما ورد.

وقد وقع مثل هذا للعارف بالله سيدي أبي العباس المرسي رحمه الله مع فقيه الإسكندرية، فإنه كان شديد الإنكار على الشيخ مثابراً على إيدائه إلى أن خرج من صلبه وهو تلميذ سيدي أبي العباس تاج العارفين أحمد بن عطا الله.

وهذه القصة نقلها هو في كتابه لطائف المنن. ثم قال الشيخ علوان وقد يقع الهلاك في القلب والسر بزيادة الطمس والعمى وتراكم الران، وتكاثف الحجاب وعظم الطرد والبعد والمجاهرة بالذنوب والوقوع فيها من غير اكتراث ولا توبة، وقد يؤخر الهلاك المحسوس إلى الإياب الذي سبق في علم الله تعالى القديم الأزلي وجرى به القلم في اللوح المحفوظ، وقد يلطف الله

(1) صحيح البخاري (3231) - ج4 ص115. صحيح مسلم (1795) - باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين ج3 ص1420. وهو حديث مطول . صحيح.

تعالى بالمؤذي حتى يعطف بقلبه على الود والحب والاعتقاد، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [السُّنْحَةَ : ٧].

وقال العارف بالله تعالى سيدي الشيخ عبد الغفار القوسي رحمه الله تعالى في كتابه التوحيد من المصائب العظيمة الدالة على البعد من الله تعالى، والشقاوة في الدنيا والآخرة إيذاء أولياء الله أو أحد ممن ينسب إلى الله تعالى.

قال الشيخ علوان: وما رأينا قط أحداً أنكر على هذه الطائفة فأفلح ولا نجح، وكيف يفلح أو ينجح من يسيء الظنون بأولياء الله تعالى العارفين به! قال الشيخ عبد الغفار حكى لي الشيخ عبد العزيز رحمه الله أنه كان مرة في بيته وحده فطلع إليه لص وجعل يشوش عليه، قال وقلوب الفقراء لا تحتمل من يشوش عليهم، لأنهم يكونون في جمعية مع الله تعالى فيفرقوهم. قال الشيخ فخرجت من البيت وربما قال فقلت انباب قال فأخذ ذلك اللص وقطعت يده.

وقال الشيخ علوان: ولقد بلغنا عن بعض المنكرين على بعض العارفين في الزمن الأول، وكان مشهوراً بالعلم والحظوة عند الملوك والسلاطين، أنه مات على دين النصرانية مرتداً عن الإسلام والدين.

هذا والإيمان بأهل الولاية ولاية وبغضهم ضلال وغواية، فإنهم المكرمون بمزيد العرفان وصفاء الإيقان والاطلاع على أسرار لم يطلع عليها عوام أهل الإيمان.

قال سيدي الشيخ علوان ولو كانوا من علماء الفتوى والدروس فإنهم بعقولهم معقولون وعند الناس معروفون وفي حضرات القرب والكشف مجهولون.

كما نقل عن بعضهم أنه سئل عن رجل معروف مشهور في الناس هل تعرفه؟ قال نعم أعرفه في أهل الأرض لا في أهل السماء، يشير بذلك إلى أنه ليس في طبقات المؤمنين ولا في سلك العارفين. انتهى ما نقلناه من النفحة الربانية في بيان الطريقة السعدية، ولقد وجدت بخط الشيخ الإمام العلامة أبي الطيب الغزي الشافعي رحمه الله تعالى، قال سئل العلامة الشيخ شمس الدين محمد بن حامد الصفدي الشافعي رحمه الله تعالى في جماعة الصمادية يجتمعون ويبتدون بفتحة الكتاب ويذكرون الله تعالى قعوداً، ثم يقومون ثم يحضرون الطبول ويتكلمون عليها حال السماع، فهل ذلك حرام؟ فأجاب ليس ذلك بحرام.

أما الطبل المنسوب إلى الصمادية فليس من طبول اللهو وإنما هو شبيه بطبول الحرب والحجيج المتفق على إباحتها.

وأما الضرب به حال السماع فإذا كان يحرك مواجيدهم فهو جائز لأنه يستخرج منهم أحوالاً من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها، يعرفها من ذاقها وينكرها من لم يذوقها، ثم تكون تلك الأحوال أسباباً لروادف وتوابع لها يحرق القلب نيرانها وينقيه عن الكدورات كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث، ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب المحيين لله ونهاية ثمر القربات كلها، فالمفضي إليها من جملة القربات لا من جملة المباحات.

وسئل رحمه الله تعالى أيضاً عما أنكر عليهم الرطانة الصادرة من بعضهم
حالة السماع.

فأجاب بما صورته الحمد لله اللهم وفق للصواب الذي أدين الله تعالى به أن
يسلم إليهم حالهم ولا ينكر عليهم.

وأما الرطن الذي لا يفهمه إلا هم، فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يكلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه بكلام لا أفهمه،
فكأنني رجل طمطماني أي أعجمي، ورأيت أن الأولياء لهم لسان يكلم به
بعضهم بعضاً لا يفهمه غيرهم، وإذا كان الأمر كذلك فيسلم لهم ذلك.
وبالجمله فهم طائفة مباركة لا ينبغي الإنكار عليهم والطرق إلى الله لا
تنحصر والله تعالى أعلم.

هذا مقدار ما يسره الله تعالى لنا من البيان المقبول إن شاء الله تعالى عند أهل
الإيمان، وبالله المستعان وعليه التكلان وهو حسبي الوكيل.
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وهو مشتمل على ثلاثين فتوى من أئمة
المذاهب الأربعة ما عدا عبارات الفقهاء من أصحاب المذاهب الأربعة.

قال شيخنا العارف بالله هذا آخر ما كتبنا والحمد رب العالمين وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.
وكان الفراغ من تصنيف هذه الرسالة نهار الجمعة الخامس والعشرين من

رجب سنة 1125

منها نقلت بقلم الحقير عمر باب الدين غفر له ووالده والمسلمين آمين

سنة 1231

انه كان مرة في بيته وحده فطلع اليه لص وجعل يشوش عليه قال وقلوب
الفقرا لا تختمل من يشوش عليهم لانهم يكونون في جمعية مع الله تعالى
فيفرقونهم قال الشيخ فرجت من البيت وردما قال فقلت اناب قال
فاخذ ذلك اللص وقطعت يده وقال الشيخ علوان ولقد بلغنا عن
بعض المنكرين على بعض العارفين في الزمن الاول وكان مشهورا بالعلم
والخطوة عند الملوك والسلاطين انه مات على دينه النصيرية وبدأ
عنه الاسلام والدين هذ او الايمان باهل الولاية وولاية بعضهم
ضلال وغواية فانهم المكرمون بمزيد العرفان وصفاء الايقان والاطلاع
على اسرار لم يطع عليها عوام اهل الايمان قال تلميذ الشيخ علوان
ولو كانوا من علماء الفتوى والدروس فانهم يعقوبهم معقولون وعند
الناس معروفون وفي حضرات القرب والكشف محبوبون كما نقل
عن بعضهم انه سئل عن رجل معروف مشهور في الناس هل تعرفه قال
نعم اعرفه في اهل الارض لاني اهل السماء يشيرون بك الى انه ليس في
طبقات المؤمنين ولا في سلك العارفين انتهى ما نقلناه من النسخة الربانية
في بيان الطريقة السعدية ولقد وجدت بخط الشيخ الامام العلامة
ابن الطيب الغزالي الشافعي رحمه الله تعالى قال سئل العلامة الشيخ شمس الدين
محمد بن حامد الصفدي الشافعي رحمه الله تعالى في جماعة الصمادية يجتمعون
ويبتدون بفاتحة الكتاب وينذكرون الله تعالى فقولوا انتم يقومون
بتم بحضرة الطبول وشكلها حال السماع فهل ذلك حرام فاجاب
ليس ذلك حرام اما الطبل المنسوب الى الصمادية فليس من طبول الله وانما
هو شبيهه بطبول الحرب والحجج المنفق على ابحاثها واما الضرب به حال
السماع فاذا كان بمحرك مواجيد هم فهو جائز لانه يستخرج منهم احوالها
المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكر

من لم يذقتها لم تكون تلك الاحوال اسبابا لروادف وتوابع لها يحرق
 القلب بنيرانها وينقيه عن الكدورات كما تنقى النثار للجواهر المعروضة
 عليها من الخبث ثم يتبع الصفا الحاصل به مشاهدات ومكاشفات
 وهي غاية مطالب المحبين لله ونهاية ثمر القربات كلها فالمنفذي اليها
 من جملة القربات لافز جملة المباحات **وسئل** رحمه الله تعالى ايضاً عن
 انكر عليهم الرطانة الصادقة من بعضهم حالة السماع فاجاب بما صورته
 الحمد لله اللهم وفق للصواب الذي ادين الله تعالى به ان يسلم اليهم حالهم
 ولا ينكر عليهم وامر الرطون الذي لا يفهمه الا هم فقد روى عن عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فوجدته يكلم ابا بكر الصديق رضي الله عنه بكلام لا افهمه فكانت رجل
 طرطاني اى اعجمي ورايت ان الاوليا لهم لسان يكلم به بعضهم
 لا يفهم غيرهم واذا كان الامر كذلك فيسلم لهم ذلك وبالجمل
 فلم طائفة مباركة لا ينبغي الا نكار عليهم والطرف الى الله لا تنحصر
 تعالى اعلم هذا مقدار ما يسره الله تعالى لنا من البيان المقبول ان شاء
 تعالى عند اهل الايمان وبالله المتعان وعليه التكلان وهو حسبي ونعم
 الوكيل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وهو شتم على ثلاثين
 فتوى من ائمة المذاهب الاربعة ما عدا عبارات الفقهاء اصحاب
 المذاهب الاربعة قال شيخنا العارف بالله هذا اخر ما كتبنا واحمد
 رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين

وسلم تسليماً الى يوم الدين
 وكان الفراغ من تصفيته
 الرسالة بتاريخ جمعة الخامس
 والعشرون من رجب سنة
 ١١٣٥

خاتمة

التصوف محاولة من الإنسان للتسلح بقيم روحية جديدة تعينه على مواجهة الحياة المادية، وتحقيق له التوازن النفسي- حتى يواجه مصاعبها ومشكلاتها، وليس هروباً من الواقع كما يقول خصومه، إذ إنه يربط بين حياة الإنسان ومجتمعهم.

والطريقة السعدية من الطرق الصوفية المهمة والمعدودة في بلاد الشام بشكل خاص وفي بلاد الحجاز ومصر وتركيا ويوغسلافيا وألبانيا وغيرها من بلاد إسلامية بشكل عام، وهي تنسب إلى القطب العارف بالله الشيخ سعد الدين الجبائي الشيباني الحسني قدس الله سره، وهي طريقة العلماء والفقهاء والسادة الأشراف والأعلام وكبار رجال الدولة في دمشق والباب العالي وشتى البلاد، وقد أسهم رجال هذه الطريقة في مجالات علمية وإنسانية واجتماعية وكان لهم دور بارز في مجتمع مدينة دمشق على وجه الخصوص ولدى رجال الدولة والحكام حتى في دار الخلافة باستنبول.

ولما جردوا أعداء الصوفية أقلامهم ووجهوا اتهامهم للتصوف، وكانت ذريعتهم واهية للطعن والشتم والاستخفاف والتكفير وتوجيه أقبح العبارات...

ما دفع عدد من العلماء والفقهاء للدفاع عن التصوف على اعتباره طريقاً إلى الله تعالى وهو سير وسلوك إلى الله بمنهاج وشرعية بدايتها الدخول والتحقق بالمقامات والأحوال والآداب والأخلاق ونهايتها المعرفة بالله... من هؤلاء السادة العلماء الشيخ عبد الغني النابلسي الذي تصدى لأعداء التصوف من خلال كتابه "جمع الأسرار في منع الأشرار عن الطعن في الصوفية الأخيار، حيث عرض الحجج الشرعية والبراهين الدامغة، وأقوال العلماء والفقهاء والعارفين بالله التي أسكتت أفواه المتقدين وفضحت كذبها وافترائها.

راجين أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله تعالى

وفوق كل ذي علم عليم

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم / مصحف المدينة
- الزهد الكبير تأليف الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي
حقيقه وخرج أحاديثه وفهرسه الشيخ عامر أحمد حيدر- دار الجنان
ومؤسسة الكتب الثقافية- الطبعة الأولى 1408هـ-1987م
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر تأليف الفاضل النبيل المفضل
المؤرخ الأديب الأوحده صدر الدنيا والدين أبي الفضل السيد محمد خليل
أفندي المرادي المفتي بدمشق الشام
- سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني

الأزدي

- إعداد وتعليق عزت عبده الدعاس- الطبعة الأولى 1388-1969
- سنن ابن ماجه- حقق نصوصه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبده
الباقي.

- سنن الدارقطني تأليف شيخ الإسلام الإمام الكبير علي بن عمر

الدارقطني

عني بتصحيحه وتنسيقه وتحقيقه محب السنة النبوية وخدامها السيد عبد الله
هاشم يملني المدني- المدينة المنورة - الحجاز 1386هـ - 1966م - دار
المحاسن للطباعة القاهرة

• سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوفي وحاشية الإمام السندي
اعتنى به ورقهم وصنع فهارسه عبد الفتاح أبو غدة- مكتب المطبوعات
الإسلامية بحلب- الطبعة الثانية المفهرسة - بيروت 1409-1988

• شعب الإيمان للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي
تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول- دار الكتب العلمية-
بيروت - لبنان- الطبعة الأولى 1410هـ - 1990م

• صحيح ابن حبان للأمر علاء الدين الفارسي
تحقيق أحمد محمد شاكر- دار المعارف بمصر
• صحيح البخاري - المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي

المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر
الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد
الباقي)

الطبعة: الأولى، 1422هـ

عدد الأجزاء: 9

• صحيح مسلم - محمد فؤاد عبد الباقي - دار عالم الكتب الطباعة والنشر
والتوزيع - الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م .

• المعجم الأوسط - للحافظ الطبراني - تحقيق الدكتور محمود الطحان -
مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الأولى 1405 هـ - 1985 م .

• المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم بن أحمد الطبراني

حققه عبد المجيد السلفي - الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

• مسند الإمام أحمد بن حنبل - المشرف العام على إصدار هذه الموسوعة
الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - شارك في التحقيق: شعيب
الأرنؤوط - محمد نعيم العرقسوسي - عادل مرشد - إبراهيم الزبيق - محمد
رضوان العرقسوسي - إسماعيل الخراط - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة
الأولى 1413 هـ - 1993 م

• معجم المؤلفين - تأليف عمر رضا كحالة - ط أولى 1414 هـ - 1993 م

• مسند أبي يعلى الموصلي - الإمام الحافظ أحمد بن علي المثني التميمي

حققه وخرج أحاديثه حسن سليم أسد - دار المأمون للتراث - دمشق -

الطبعة الأولى 1404 هـ - 1984 م

• مسند الإمام أحمد بن حنبل - شارك في التحقيق شعيب الأرنؤوط ورفاقه

- الطبعة الأولى 1414 هـ - 1994 م .

الفهس

5	مقدمة
9	إحياء لتراث الطريقة السعدية الجبوية العلية
14	المهندس زاهر محمد عطايا السعدي الإدريسي الحسني
17	الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني
20	كلمة
21	ترجمة المؤلف الشيخ عبد الغني النابلسي
25	مقدمة عن الطرق الصوفية
29	مؤسس الطريقة السعدية الجبوية
43	النص المحقق
45	ذكر الأحاديث الدالة على استحباب الجهر بالذكر تصريحاً والتزاماً
123	خاتمة
125	المصادر والمراجع